الدكتور عزت السيد أحمد

خطر نجاح الإسلام في السلطة

من وحي التجربتين التركية والمصرية

دار النهار
2014

الدكتور عزت السيد أحمد

خطر نجاح الإسلام في السلطة
من وحي التجربتين التركية والمصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور عزت السيد أحمد

خطر نجاح الإسلام في السلطة

من وحي التجربتين التركية والمصرية

دار النهار
2014

بيروت

٢٠١٤م

دار أنهار للدراسات والترجمة والنشر

كل الحقوق محفوظة

تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضَه بأيِّ وسيلةٍ من وسائل الطِّباعةِ والنَّشر والإعلام من دون موافقةٍ خطيَّة من الناشر أو المؤلِّف

تطلب النسخة الورقية أو الإلكترونية من الناشر على البريد التالي

Sameah3@gmail.com

خطر نجاح الإسلام في السلطة

من وحي التجربتين التركية والمصرية

الدكتور عزت السيد أحمد

١٥٠ صفحة

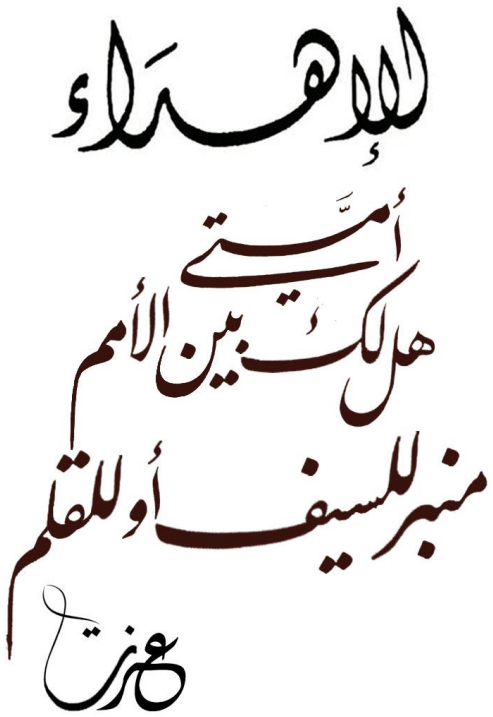
الإهداء
أمتي
هل لك بين الأمم
منبر للسيف أو للقلم
عزت

منذ إسقاط حكم الإخوان في مصر تفرغ فريقٌ من الجوقة الاختصاصية لإسقاط حكم الحرية والعدالة في تركيا. بعضُ السُّوريين سيربطون ذَلكَ بموقف **أردوغان** من الثَّورة السُّوريَّة، بعض المصريين سيربطون ذَلكَ بموقف تركيا من الانقلاب.

والحقيقة ليست هنا ولا هناك. تركيا كانت سبب إسقاط حكم الإخوان في مصر، وسقوط حكم الإخوان هو سبب السَّعي لإسقاط حكم العدالة والتَّنمية. والمستشارون والمخطِّطون لذَلك هم عرب مسلمون تحديداً... وكواليس غربية متفرغة لهٰذا الشأن.

ماذا نعني بذَلكَ؟

لن نحكم علىٰ ما قلناه وما وسنقوله بأنَّهُ الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة. نعلن سلفاً أنَّهُ وجهة نظر في قراءة الواقع معزَّزة بالأدلَّة من خلال الحقائق التَّاريخيَّة والسِّياسيَّة والواقعيَّة الرَّاهنة. ولنبدأ بالدعابة التي أطلقها **جون ماكين** الموفد الأمريكي لمباركة الانقلاب المصري، عندما سُئِلَ: «هل ما حدث في مصر انقلاب؟»، لم يستطيع أن يخرج من

جلده ليصف الانقلاب بأنَّهُ ثورة، فقال: «إذا كانت تمشي مثل البطة، وصوتها مثل البطة، فهي بطة»[1].

قد يكون من الممتنع الحصول على تصريحٍ مباشرٍ لتأكيد الحقائق التي سنقرِّرها هنا، ولٰكن كما قال **جون ماكين**: إذا كان كلُّ شيء فيها يشبه البطة فيفترض أن تكون بطة. أعني عندما تكون كلُّ القرائن والمؤشِّرات تقود إلىٰ متَّهمٍ معيَّنٍ فمن العبث أن ننتظر اعتراف الجاني بالفعل.

وعلىٰ أيِّ حالٍ: سأفترض بأنَّ ما سينجلي من اتهامات لجهاتٍ معيَّنة سيكون وهماً وليس حقيقةً. وليكن ذٰلكَ، ليس هناك متهم، ولا جناية، ولا مؤامرة... ولٰكنَّ هناك انهيارات علىٰ الأرض، وتقصيرٌ مريب ومُخْجِلٌ لا يمكن أبداً إنكاره ولا تجاوزه، ويجب أن يوضع حدٌّ له.

إذن في الحالين كليهما نحن أمام أزمةٍ يجب وضع النِّقاط علىٰ حروفها. نفترض أنَّ لها وجهين إن أخطأنا التَّقدير في واحدٍ منهما يبقى أمامنا الوجه الثاني الذي لا بُدَّ أن يجد ما يكفي من الاهتمام والمعالجة.

حسناً، لنعد إلىٰ نقطة الانطلاق: تركيا كانت سبب إسقاط حكم الإخوان، وسقوط حكم الإخوان هو سبب السعي لإسقاط حكم العدالة والتنمية في تركيا. يسمى هٰذا في الفلسفة دوراً منطقيًّا، المقدمة هي النتيجة والنتيجة هي المقدمة. يبدو الكلام لغزاً، ورُبَّما لغزاً غامضاً، ولٰكنَّهُ في الحقيقة علىٰ درجة من الوضوح والبداهة كافية لعدم الاستغراق في الحيرة والتفكير.

---

(١) .كان ذٰلكَ المؤتمر الصحافي الذي عقده في ختام زيارته إلى القاهرة يوم الثلاثاء ٦ آب/أغسطس ٢٠١٣ م.

لننظر ماذا حدث بفوز حزب العدالة والتَّنمية في الانتخابات التَّشريعيَّة والتَّقدُّم لقيادة تركيا منفرداً بالسُّلطة، خلاف ما كان لسلفه حزب الرفاه بقيادة **نجم الدين أربكان**[٢]، الذي فاز في عام ١٩٩٦م بأغلبية غير مطلقة[٣]، فاضطر للتوافق مع **تانسو شيلر** زعيمة حزب الطَّريق القويم لتشكيل الحكومة مناصفة في الزمن لا في الفعل، فاستلم السُّلطة عاماً واحداً، ولم يطل به الأمر حَتَّىٰ حُلَّ الحزب وحُظر **أربكان** ذاته من ممارسة العمل السِّياسي.

أجهضت محاولة وصول الإسلام السِّياسي إلىٰ السُّلطة في مهدها، كما أجهضت كثيرٌ من المحاولات السابقة في تركيا وفي مختلف دول العالم الإسلامي.

الإسلام السِّياسي هي المسألة التي يجدر الوقوف عندها ولو وقفة سريعة لأنَّهَا مسألة حاسمة في هٰذا السِّياق.

يقولون الحرب علىٰ الإسلام السِّياسي وليست علىٰ الإسلام. المتهم هو الإسلام السِّياسي وليس الإسلام. والحقيقة هٰذا زعم تنقصه البداهة. لا يوجد إسلام وإسلام سياسي[٤]. يوجد أحزب أو حركات تتبنى الإسلام منهجاً في السُّلطة. إذا كانت هناك أحزاب أو حركات تركب الإسلام فهي مشكلتها هي

---

(٢) . كان يلقب في الأوساط التركية "أبو السبعة أرواح"، لكثرة ما دخل المحاكم والسجون وخرج منها سالماً، رُبَّما خلافاً لما حدث لعدنان مندريس، ولكثرة ما أسس من أحزاب سرعان ما تحاصر وتحظر. ولد ٢٩ تشرين الأول عام ١٩٢٨م، وتوفي في ١١/ شباط عام ٢٠١١م. وما بينهما مسيرة طويلة معقدة تحتاج وقفة وحدها.

(٣) . حصل حزب الرفاه على ١٨٥ مقعداً، وحصل حزب الطريق القويم على ١٣٥ مقعداً، وحصل حزب الوطن الأم على ١٣٣ مقعداً، وحصل اليسار الديمقراطي على ٧٥ مقعداً، وتوزعت المقاعد المتبقية وعددها (٤٩) مقعداً على أحزاب أخرى وعلى المستقلين.

(٤) . انظر كتابي: **العالم في مواجهة الإسلام** الذي يصدر بالتزامن مع هٰذا الكتاب عن الناشر ذاته.

ذاتها وليست مشكلة الإسلام ولا مشكلة الأحزاب والحركات التي تتبنى الإسلام نهجاً سياسيًّا.

هٰذا وجه أول من المسألة. الوجه الثاني منها هي مزاعم محاربة وصول الإسلام إلىٰ السُّلطة بأنَّهَا تحارب الإسلام السِّياسي ولا تحارب الإسلام. هٰذه أحجية مضحكة لا حل لها. كيف يحارب الإسلام السِّياسي لمنعه من الوصول إلىٰ السُّلطة؟ وأي إسلام سياسي هو الذي يحاربونه؟

هنا يبدو المأزق الحقيقي لهؤلاء. لأنهم يحاربون الإسلام السِّياسي بالمطلق وليس حزباً معيناً أو حركةً معيَّنةً. ومن ثَمَّ فإنَّ في هٰذا وحده ما يبطل دعواهم مهما كانت في محاربة الإسلام السِّياسي. وأبين ذٰلكَ من خلال نقطتين:

علىٰ افتراض قبول دعواهم بأنَّهُم يحاربون الإسلام السِّياسي فقط فهل يمكن أن نفهم من ذٰلكَ أنهم يقبلون وصول الإسلام غير السِّياسي إلىٰ السُّلطة؟ سيقولون لك: الإسلام غير السِّياسي لا يجوز أن يتدخل في السِّياسة!!!

عجباً، ولماذا لا يدخل حلبة السِّياسة؟ لماذا اللادينيين وحدهم يحق لهم دخول حلبة السِّياسة؟ أي ديمقراطية وأي عدالة هٰذه؟

قد يقول قائل لأنهم استبداديون، أو لأنهم يتمسكون بالسُّلطة. عجباً أيضاً وهل العلمانيون أو اللادينيون زاهدون في السُّلطة والسُّلطة هي التي تتوسل لهم أن لا يتركوها؟

إذا وافقنا علىٰ الفصل بَيْنَ الإسلام السِّياسي والإسلام كما يزعمون، نتبين أنهم كاذبون وخادعون كما بيَّنا. ومع ذٰلكَ لنفصل بَيْنَ الإسلام السِّياسي

والإسلام كما يريدون، فإنهم يدينون أنفسهم أيضاً من هٰذا الجانب. الإسلام غير محارب ولا يريد السُّلطة ولا يسمح له الوصول إلىٰ السُّلطة... حسناً، إذن الإسلام السِّياسي مثل أي حزب سياسي من حقه الوصول إلىٰ السُّلطة، فلماذا الحرب علىٰ الإسلام السِّياسي؟ أي إسلام سياسي هو الذي يحاربونه؟ وأي إسلام سياسي هو الذي لا يحاربونه؟

الحرب علىٰ كل الإسلام السِّياسي مهما كان مصدره ومنبعه ومنهجه ومرجعه إلا الإسلام الذي يريدون. بل حَتَّىٰ الإسلام الذي يريدون لا يسمحون له بالوصول إلىٰ السُّلطة[٥].

ما هٰذا؟

لماذا الإسلام السِّياسي وحده المحظور من الوصول إلىٰ وإذا وصل إلىٰ السُّلطة لا تهدأ الحروب عليه من كل الجهات والأنواع؟

لا أريد أن أطيل هٰذه المقدمة. ولٰكنِّي لا ستطيع تجاوز نقطتين دون الإشارة إليهما:

الأولىٰ: هٰذا الكتاب في الأصل بحث لي نُشر في مجلة رؤية التركية عدد شتاء ٢٠١٤م. وفي هٰذا الكتاب سأركِّز علىٰ تداعيات وصول ونجاح الإسلام في السُّلطة من خلال ما حدث في التَّجربتين التُّركيَّة والمصريَّة علىٰ نحو خاصٍّ، مع بعض تداعيات الموضوع من جوانب تاريخيَّة في بعض الأحيان.

---

٥ . انظر في ذٰلكَ كتابي: **العالم في مواجهة الإسلام** الذي يصدر بالتزامن مع هٰذا الكتاب عن الناشر ذاته، وفيه فصل خاص تحت عنوان الإسلام الذي يريدون.

الثانيــة: هٰـذا الكتـاب هـو إطـار تطبيقـي لموضـوع تـداعيات وصـول الإسـلام إلىٰ السُّـلطة، أمـا الإطـار التـاريخي والفكـري فكـان موضـوع كتـابين آخـرين يصـدران بـالتَّزامن مـع هٰـذا الكتـاب همـا: العـالم في مواجهـة الإسـلام، والحـرب علـىٰ الدَّولـة الإسـلاميَّة. إلىٰ جانـب كثـيرٍ مـن مقـالاتي وأبحـاثي الـتي احتوتهـا كتـبي الـتي صـدرت علـىٰ مـدار نحـو ثلـث قـرن مضـى. ولا أنسـى التَّنويـه بمئـات ورُبَّمـا آلاف الكتـب والأبحـاث والمقـالات الـتي كتبهـا كثـيرون من عرب ومسلمين وغربيين أيضاً.

٢٠١٤م

الفَصْلُ الأوَّل

نقاط على الحروف

هل يعقل أن نعود إلىٰ نقطة الصِّفر؛
نقطة الانطلاق بعد ألفين وخمسمئة سنة
من تجاوزها؟

إنَّهَا مأساة كبيرةٌ في حقيقة الأمر. لم يبدأ العلم ولا الفلسفة بدايةً حقيقيَّةً، منهجيَّةً، تراكميَّةً... إلاَّ بعد أن شنَّ سقراط ثورته علىٰ ضبابيَّة المفاهيم وعدم التَّوافق عليها. تلك الضَّبابيَّة التي ركب السفسطائيون موجتها وأدهشوا الجمهور بقدرتهم علىٰ برهان القضية ونقضيها. لاحظوا جيداً؛ برهان القضية ونقيضها. عدم تحديد المفاهيم، وتركها ملتبسة وضبابيَّةً يعني تساوي القضيَّة ونقيضتها، تساوي الحقِّ والباطل.

إنَّ عدم التأسيس الصحيح للحوار، للنقاش، لحلِّ أيِّ مشكلةٍ لن يكون ذا جدوى أبداً طالما أنَّنا نتخبط في فوضى المفاهيم والاصطلاحات والنوايا القائمة علىٰ هٰذه الضَّبابيَّة والفوضويَّة. وتستوي هنا المتناقضات وتخرج الحوارات بأوهام النَّتائج ولا نتائج أبداً... أوهام علىٰ أوهام.

العقل العربيُّ في العصر الراهن عقلٌ حلزونيٌّ التفافيٌّ تضليليٌّ. هٰذه صورة العقل، أي التفكير العربيِّ في العصر الراهن لأنَّهَا تقوم علىٰ تلك الضَّبابيَّة والتَّناقضيَّة المقبولة من الجميع علىٰ أنَّها واقعيَّة. مضحكٌ جدًّا أنَّ الجميع يقبل بهٰذه الحلزونيَّة والالتفافيَّة والتَّضليليَّة. الجميع يقبل بذٰلكَ الغباء المستحكم، والرَّغبة التَّضليليَّة وعدم الرغبة في مواجهة الحقيقة. لا يوجد نوايا جديَّةٌ في الوقوف أمام الحقيقة وجهاً لوجه. إما لمصالح أو لغباء وجهل.

إذا بقي عقلنا بهٰذه التركيبة، إذا بقينا كذٰلكَ، فسنحتاج إلىٰ أكثر من مليون سنة حَتَّىٰ يصبح لينا دولة. الدَّولة ليست كما يتوهَّم الكثيرون سلطةً وحدوداً مسيَّجةً أو غير مسيَّجةٍ وبشراً يخضعون للسلطة. الدَّولة بنية تفكير إلىٰ جانب الشُّروط اللازمة لشكل الدَّولة.

لا يوجد دولةٌ في العالم العربي وحَتَّىٰ الإسلامي، ولا توجد ديمقراطيَّة، ولا أحزاب، ولا معارضة... كلُّ ما هو موجود من ذٰلكَ هو أشياء تطلق عليها هٰذه الأسماء. وعلىٰ هٰذا الأساس أحدِّد سلفاً أنَّهُ لا توجد أحزاب إسلاميَّة، ولا يوجد وصولٌ إسلاميٌّ إلىٰ السُّلطة في العالم العربيِّ ولا حَتَّىٰ العالم الإسلامي اللهم إلا باستثناء التَّجربة التُّركيَّة مع بعض الملاحظات، والتَّجربة الإيرانيَّة مع بعض التَّحفظات. وسأبيِّن الموقف من خلال مجموعة من النِّقاط المتداخلة هي: صورة الإسلام والإسلاميين: من يرسمها من يحددها... الإسلام والإسلاميون والإسلامويين والمتطرفون. والسؤال الذي لا بُدَّ من طرحه بجديَّة وهو: هل وصل الإسلاميون إلىٰ السُّلطة؟

منذ وعينا علىٰ الدنيا وإلىٰ اليوم لم نجد أحداً أو فريقاً يوصف بالظَّلاميَّة إلا المسلم الذي يدافع عن الإسلام. وعندما أقول الإسلام فأنا أعني السُّنة، السُّنة ليست طائفةً، السُّنة ليست مذهباً، السُّنَّة هي الإسلام، هي الأمَّة الإسلاميَّة.

حَتَّىٰ غير المسلم مهما كان دينه أو لا دينه إن دافع عن الإسلام فهو موضوعيٌّ وعقلانيٌّ وعلميٌّ وراقٍ وحبَّاب ومحترمٌ. فقط المسلم الذي يدافع عن الإسلام هو الظلاميُّ.

ومن طريف التَّناقضات هنا أنَّ المسلم وغير المسلم من أيِّ دينٍ أو لا دينٍ إذا هاجم الإسلام بأيِّ طريقةٍ من الطُّرق فهو يمارس حريَّته، وهو شجاعٌ، وهو موضوعيٌّ، وهو نبراس الوعي والنضج... هو كذٰلكَ مهما كانت طريقة الهجوم؛

مؤدَّبة، غير مؤدَّبةٍ، فيها إساءة، فيها تشويه، فيها تحريف، فيها تخريف... لا يهم، المهم أنت تحوز أوسمة الشَّجاعة والبطولة والنبل وتعتلي المحافل الدوليَّة ويُفرش لك السُّجَّاد الأحمر عندما تهاجم الإسلام.

المفارقة المضحكة المبكية هنا هي أنَّ غير المسلم من أيِّ دينٍ أو لا دينٍ إن دافع عن الإسلام فهو بطلٌ ونبيلٌ وعلميٌّ وعقلانيٌّ... وإذا هاجم الإسلام فهو أيضاً بطلٌ ونبيلٌ وعلميٌّ وعقلانيٌّ... أمَّا المسلم فهو أخلاقيٌّ وبطلٌ ونبيلٌ وعلميٌّ وعقليٌّ وعقلانيٌّ وموضوعيٌّ ونزيهٌ وشريفٌ وحياديٌّ... فقط إذا هاجم الإسلام أمَّا إذا دافع المسلم عن الإسلام فهو ظلاميٌّ. بل ويا للغرابة والدَّهشة عندما تجد العالم يشيد براجحة عقل أحدهم وأهميته وعظمته وفجأة من دون مقدِّمات يصير مجنوناً، مخرِّفا، فقد عقله... فقط إذا تحول إلىٰ الدفاع عن الإسلام بعد أن كان يهاجمه.

في المقابل، المسيحيَّة قبل الإسلام، وعدد المسيحيين أكثر من عدد المسلمين، وهناك مسيحيون يدافعون عن المسيحيَّة بشدَّة، وبتعصُّبٍ، وبتطرُّف، ومع ذَلكَ لم أجد عَبْرَ عشرات السِّنين من يصف هَؤلاء بالظلاميين!!!

اليهوديَّة قبل المسيحيَّة وقبل الإسلام، وبالقياس اليهودية أقليَّة في ميزان الأكثريات الدِّينية والعرقيَّة. وفيها متطرفون يفوقون تطرف المسلمين والمسيحيين، ومع ذَلكَ لم أجد أبداً عَبْرَ ما مضى من عشرات السِّنين من يصفهم بالظلاميين!!!

الهندوسيَّة، والبوذيَّة المنبثقة عنها اللتان تسبقان هٰذه الأديان الثَّلاث بمئات السِّنين، وعدد معتنقيها يساوي كلاًّ من الدِّيانتين علىٰ حدةٍ، وهي بمنزلة الديانة الوثنيَّة مقارنة مع الأديان السماويَّة، فيها من المتطرفين أيضاً ما لا يقلُّ عن

تطرف المسلمين واليهود والمسيحيين. ومع ذَلكَ لا توجد أيُّ إشارةٍ أو كلامٍ أو تصريحٍ أو تلميحٍ إلىٰ ظلاميَّةٍ هندوسيَّةٍ أو بوذيَّةٍ!!!

حسناً، حَتَّىٰ في العقائد الإلحاديَّة بمختلف أنواعها يوجد متطرفون يفوقون بتطرُّفهم تطرُّف مترفي الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة والوثنيَّة... والعقائد الوثنيَّة فيها كذَلكَ متطرِّفون... ومع ذَلكَ لم نجد أبداً من تحدَّث في يومٍ من الأيَّام عن الظلاميَّة الشِّيوعيَّة أو غيرها!!

لماذا المسلمون حصراً هم الظلاميون؟

إذا كان الموضوع موضوع تطرُّف فقد وجدنا أنَّ لدى الأديان جميعها واللاأديان متطرفون مثل المتطرفين المسلمين، فلماذا المسلمون وحدهم ظلاميون، والآخرون يمارسون حريتهم، وليسوا ظلاميين؟

سيقول قائل: رُبَّما لأنَّ المسلمين ينادون أو يريدون العودة إلىٰ زمن الرسول أو يريدون تطبيق الشَّريعة الإسلاميَّة!!! عجباً، وهل المتطرفون في الأديان الأُخْرَىٰ ينادون بمحاربة أنبيائهم وأربابهم؟ الأَولى إذن أن منتسبي الأديان الأُخْرَىٰ هم من يجب أن يوصفوا بالظلاميين لأنَّ الإسلام أحدث هٰذه الأديان، أولئك يغرقون أكثر في الماضي! هٰذا مع تذكُّر أن الاتهام يوجه لكلِّ مسلمٍ ملتزمٍ، وليس فقط للمتطرِّف المسلم، فيما نحن نتحدث عن متطرفي الأديان الأُخْرَىٰ لا عن الملتزمين دينيًّا فيها.

إذن لماذا المسلمون حصراً هم الظلاميون؟

الظَّلاميَّة تهمةٌ تنصب علىٰ العقليَّة. ونحن نحاول أن نعرف، أن نفهم:

لماذا عقليَّة المسلم إذا التزم بدينه كانت ظلاميَّةً، بَيْنَما عقليَّة أيِّ ملتزمٍ بدينه من الأديان الأُخْرَىٰ لا تكون ظلاميَّة!!

لماذا فقط المسلم إذا دافع عن دينه يكون ظلاميًّا، ولا يكون غير المسلم ظلاميًّا إذا دافع عن دينه؟!

الظلامية مثل الإرهاب كلمة بلا معنى محدَّدٍ، ولا تهمة محددة الهدف، كذَلكَ الظلاميَّة، لا نعرف ما المقصود منها، لأنَّنا علىٰ ضوءِ كلِّ ما تحمله من معاني نجد أنَّ الظلاميَّة تنطبق علىٰ كلِّ ما هو غير إسلاميٍّ أكثر مما تنطبق علىٰ الإسلامي فلماذا يسير الجميع عكس المنطق؟

ويزداد الأمر تعقيداً عندما نعلم أنَّ الاتهام مقرونٌ بالإسلاميِّ تحديداً وليس بالاجتماعيِّ، أي ليس بعقليَّة الشَّخص الاجتماعيَّة. فلا يتهم السُّلوك بالظلاميَّة إذا لم يكن مقترناً بالدِّفاع عن الإسلام أو المناداة به.

الظلاميَّة تكريس الجهل وتكريس التَّخلف ومحاربة العلم... هل يمكن أن تتضمن غير ذَلكَ؟ حسناً، قارنوا بَيْنَ الإسلام وكلِّ الأديان. أيُّهَا أكثر احتراماً للعلم ودعوة للعلم وحضًّا علىٰ العلم ومحاربة الجهل والتَّخلُّف، أيَّها أكثر حضًّا علىٰ التَّفكير، أيُّها أكثر حضًّا علىٰ عدم الاتباع الأعمى...؟؟؟ قطعاً، الإسلام علىٰ رأس الأديان التي تحترم العلم والعلماء، أكثرها دعوة وسعياً إلىٰ التَّفكير وإعمال العقل ومحاربة البدع والخرافات والأساطير والجهل والتَّخلف... هٰذه حقيقة باتت فوق أيِّ شكٍّ. فكيف يوصف من يدافع عن هٰذا الدِّين بالظلاميَّة[٦]؟

(٦) . ثَمَّة الكثير من الدراسات والأبحاث في تبيان ذَلكَ. ويمكن لمن أراد أن يعود بنفسه إلىٰ القرآن الكريم وحده ليجد فيه من الأدلة ما يسد عين الشمس ولا أبالغ في ذَلكَ، بشرط واحد هو أن يقرأ بموضوعية وبغاية المعرفة الحيادية لا أكثر.

سيقول بعضٌ: إنَّ الإسلام، أو الأديان كلها، تضع قيوداً على العلم والحرية... حسناً، الأديان كلُّها متساوية في ذَلكَ، فلماذا توجه تهمة الظلاميَّة إلىٰ الإسلام تحديداً دون الأديان كلِّها؟!

لن يبقى السُّؤال معلقاً من دون جواب. كلٌّ لديه جوابه. ولٰكن لكلٍّ الأرضيَّة الخاصَّة به التي يقف عليها. الأرضيَّات مختلفةٌ. لا يمكن لذٰلك التَّفاهم. الحوار بَيْنَ أرضيتين متخالفتين يشبه مسار مستقيمين شماليين؛ لا يلتقيان ولا يتوازيان ولا يتقاطعان.

أكثر من نصف قرن من الحرب الإعلاميَّة علىٰ الإسلاميين في العالم العربي من قبل الأنظمة العربيَّة المسلمة، نصف قرن والفكرة التي تزرع في الرؤوس جميعاً أنَّ الإسلاميين إقصائيين، الإسلاميين يريدون الاستئثار بالسُّلطة، الإسلاميون يريدون أسلمة الدَّولة!!!

فماذا تنتظرون من كلِّ الأجيال التي انتفخ رأسها بهٰذه الأفكار؟

والسُّؤال الذي يقف الأغبياء أمامه ولا يسألونه:

وهل اليساريون الذي يحكمون زاهدون في السُّلطة؟

أليسوا هم أنفسهم من (لطش) السُّلطة منذ خمسين أو ستين أو سبعين سنة ولم يتزحزحوا عنها أبداً؟

أليست الأنظمة العربيَّة والإسلاميَّة ذاتها علىٰ رأس السلطة منذ أكثر من نصف قرن وهي التي أقصت الجميع من دون استثناء؟

متى جرت انتخابات حرَّة في العالم العربيِّ والإسلامي منذ أكثر من نصف قرن؟

ما عدا الاستثناء التركي ثُمَّ الماليزي والباكستاني، رُبَّما فقط مرَّةً واحدةً جرت في مصر بعد الثَّورة، لم يهنأ الفائزون ديمقراطيًا بالسُّطلة أكثر من خمسين يوماً،

تَمَّ الانقلاب عليهم بوحشيَّة غير محدودةٍ من النِّظام السَّابق نفسة الموجود علىٰ رأس السُّلطة في مصر منذ ستين سنة. ويقولون بأنَّ الإسلاميين يريدون الاستئثار بالسُّلطة؟!

سنسلم جدلاً... نحن نتفهم المخاوف من التَّطرف الإسلامي مع ما عليه من تساؤلات وشكوك... والجماعات الإسلاميَّة... ولٰكنَّ السؤال لماذا الخوف من نجاح الإسلام أو الإسلام السِّياسي في السُّلطة؟ لماذا يحاربونه أيضاً وفيه من الممارسة الديمقراطيَّة ما يفقأ العيون الجاحدة؟

سنقف عند حقائق تفقأ عيون الجاحدين والمنكرين، ولن نتحدث في تأويل وتأويل تأويل. الحقيقة التي لا يمكن أن ينكرها إلا جاحد حاقد هي أن:

الإسلاميين جاؤوا إلىٰ السُّلطة في الجزائر بالدِّيمقراطيَّه فقتلوهم ودمروا الجزائر حَتَّىٰ يسلموهم السُّلطة.

الديمقراطيَّه جاءت بحماس فى فلسطين إلىٰ السُّلطة فعزلوها وحاربوا وحاصروا الشَّعب الفلسطيني لأنَّهَا نجحت في الوصول إلىٰ السُّلطة.

جاءت الديمقراطيَّه بالإسلاميين إلىٰ السُّلطة في تونس فأجبروهم علىٰ تسليم السُّلطة ومشاركتهم بها، وهم في طريقهم لإقصائهم بجهود ستبرز نتائجها قريباً، ورُبَّما في أول استحقاق انتخابي.

وصل الأخوان إلىٰ السُّلطة في مصر بالديمقراطيَّه بالإخوان فاعتقلوا وسجنوا وحكموا بالإعدام وحوربوا وحورب كل من يشك في أنَّهُ يتعاطف معهم.

عندما بدا أن الإسلاميين هم الأقرب للسُّلطة في ليبيا أخرج لهم قادة العرب القائد حفتر من جراب سليمان وليبيا علىٰ وشك دخول حربٍ أهليَّةٍ ما لم يتم إقصاء الإسلاميين والتَّأكد من عدم وصولهم إلىٰ السُّلطة.

في الباكستان، في أندونيسيا، في ماليزيا، في المغرب، في الأردن... وغيرها رُبَّما نجحت الأحزاب الإسلاميَّة في الانتخابات البرلمانيَّة، وبعضها شكَّل حكومةً، ولكنَّهَا كلُّها هياكل برلمانات أو هياكل سلطة، لا قيمة لها، ولا طعم، ولا لون، ولا أي فاعليَّة حَتَّىٰ يمكن القول من دون تحفُّظ أو تردُّد: لا يمكن ولا يجوز عدها تجربة في السُّلطة. وجودها أو عدم وجودها فيه سواء.

التَّجربة الوحيدة في العالم العربيِّ والإسلاميِّ لوصول الإسلام إلىٰ السلطة هي التَّجربة التُّركيَّة. علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ مُنَظِّري حزب العدالة والتَّنمية التُّركي يقولون إنَّهُم ليسوا حزباً إسلاميًّا، إنَّهُم حزب خلفيته إسلاميَّة نوعاً ما. لن نطيل الكلام فيه هنا لأنَّنا سنعود إليه بمزيد من التَّفصيل والمناقشة كونه محوراً أساسيًّا من محاور هٰذا الكتاب.

يقولون: لن يتحمل الظالمون ديمقراطيَّه تأتى بغيرهم فى الحكم.

هي وجهة نظر لا أكثر، المسألة ليست بهٰذا التَّبسيط والتَّسطيح علىٰ الإطلاق. الظلاميون هَؤلاء من مختلف الأحزاب المتناقضة اليساريَّة والقوميَّة والعلمانيَّة وحَتَّىٰ الحاكمة علىٰ أساس أنَّها راعية للإسلام ولكنَّهَا استبدادية لا علاقة لها بالإسلام... لماذا سمح لهم بكل تناقضات أحزابهم وتنافرها أن يصلوا إلىٰ السُّلطة ولم يسمح للإسلاميين بالوصول إلىٰ السُّلطة؟

الحقيقة التي يجب أن ننفذ إليها مباشرة هي أنَّ المسألة مسألة إسلام وليست مسألة إسلام سياسي... استخدام الإسلام السياسي من باب المواربة والتَّعمية.

الفصل الثاني

هستريا الأنظمة من عودة الخلافة

الخلافة ليست نظام الحكم الإسلامي الوحيد، ولا الواجب، ولا النَّافل... هي نظام حكم بَيْنَ عشرات أنواع أنظمة الحكم التي لا تتعارض مع الإسلام ولا يعارضها الإسلام...

وفي ذَلكَ كتب **محمد بيومي مهران**: «كان هذا اللقب هو اللقب التالي للخليفة، ذَلكَ أنَّ **عمر بن الخطاب** . منعاً لتكرار لفظ خليفة بالنسبة إلىٰ من يتولى أمور المسلمين من الخلفاء . أمر أن يستبدل لفظ خليفة رسول الله بعبارة أو لقب أمير المؤمنين»(٧).

ونقل ما روي من «أنَّ **المغيرة بن شعبة** قال **لعمر بن الخطاب**، رضي الله عنه: يا خليفة الله، فقال **عمر**: ذاك نبي الله **داود**، قال: يا خليفة رسول الله، قال: ذاك صاحبكم (أي **أبو بكر**)، قال: يا خليفة خليفة رسول الله. قال: ذاك أمرٌ يطول، قال: يا **عمر**، قال: لا تبخس مقامي شرفه، أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فقال **المغيرة**: يا أمير

(٧) . محمد بيومي مهران: **الإمامة وأهل البيت** . ج١ . ص ١٢٨.

المؤمنين»[٨]. ومع ذلكَ ظلَّ لقب الخليفة مقترناً بأمير المؤمنين، ولذلك كانت الخلافة هي البعبع الذي يخاف الغرب من انتشار فكرته بَيْنَ المسلمين أكثر مما يخاف من المسلمين أنفسهم...

ولذلك استنفرت أمريكا كلَّ جهودها والعالم معها وأحداث الحادي عشر من أيلول للقضاء علىٰ الخلافة في أفغانستان علىٰ الرَّغْمِ من أنَّها لا تهشُّ ولا تنشُّ... ولٰكنَّ فكرة أنَّ هناك خلافة إسلاميَّةٌ قائمةٌ يجلب الضَّجر والقلق والأرق والصُّداع والسَّرطان لهم ولذلك هي أمر لا تسمح به السِّياسة الغربيَّة مهما كلفها ذلكَ من ثمن.

كتبت هٰذا الكلام جزءاً من سياق بحثٍ في أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م، وهو جزءٌ من كتابي الذي نشر في عام ٢٠٠٣م تحت عنوان: تفجيرات أيلول وصراع الحضارات[٩].

كانت الحرب علىٰ الخلافة الطالبانية في أفغانستان.

اليوم **أبو بكر البغدادي** يستفز العالم من جديد بإعلان الخلافة.

كثر اللغط والكلام في ذلكَ، ولٰكن حسبكم قراءة وجوه قادة الغرب والعرب بعد إعلان الخلافة وبعد خطبة البغدادي لتعرفوا مدى الهلع والفزع الذي يأكل وجوههم.

---

(٨) . م.س . ص ١٢٩. والحديث مع حديث آخر عن سبب تسمية أمير المؤمنين موجود في كتاب الجاحظ: **التاج في أخلاق الملوك** . تحقيق أحمد زكي باشا . القاهرة . ١٩١٤م . ص٨٦ . ٨٨.

(٩) . الدكتور عزت السيد أحمد: **تفجيرات أيلول وصراع الحضارات؛ الولايات المتحدة صنعت الحدث لتصنع المستقبل** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٣م.

هٰذا الإجراء سيجرُّ المنطقة إلىٰ أحداث ضخامٍ ما لم تستطع أمريكا والدول الإقليميَّة اتخاذ إجراءات تمتص الحدث وتستوعبه بطريقةٍ أو بأُخْرَىٰ، وخاصَّةً بإثارة نقمة النَّاس علىٰ الخلافة وجعل أبناء المنطقة أنفسهم يحاربون الخلافة.

علىٰ أي حال كلُّ آتٍ قريبٌ فلا تستعجلوا.

اليوم تبدو الحرب علىٰ الخلافة أشد ما كون من الوضوح. وقد صرَّح **أوباما** علناً قالاً: «لا يمكن أن نسمح بقيام الدَّولة الإسلاميَّة»(١٠)، الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة هي حرب علىٰ الخلافة، أكثر ما أرعبهم وأثارهم وحشدهم هو إعلان الخلافة، ومنذ ذٰلكَ اليوم تابعنا التَّصريحات الأمريكيَّة والغربيَّة التي توحي بالاستعداد للقضاء عليها، ولم يكن القصف الذي تمارسه أمريكا من أجل الأكراد، الأكراد كانوا الذَّريعة التي باشروا من حربهم من خلالها.

من مواجهة الخلافة إلى محاورتها

في هٰذه الآونة وقعتُ علىٰ رسالة من **جون شيا** إلىٰ الرئيس الأمريكي يحضه فيها علىٰ ضرورة التَّعامل مع دولة الخلافة الخامسة علىٰ حدِّ قوله. أو ما يمكن تسميها حتميَّة المصالحة مع دولة الخلافة الخامسة، نشرها في الحادي عشَر من شهر كانون الثاني/ يناير عام ٢٠١٠م(١١)،

---

(١٠) . قال ذٰلكَ أوباما حرفيًّا في خطاب له إثر سيطرة الدَّوْلَة الإسلاميَّة علىٰ مناطق واسعةٍ من العراق وإعلان الخلافة الإسلاميَّة وتغيير اسم الدَّوْلَة من دولة الإسلام في العراق والشام إلىٰ الدَّوْلَة الإسلاميَّة.

١١. JOE SHEA, THE WAR AGAINST THE CALIPHATE ,American Reporter Vol. 16, No. 3,857 – – January 19, 2010

ذكرها الأستاذ **نايف ذوابة** تعليقاً على مقال الخلافة أحلام طفوليَّة أم حقيقة قادمةٌ الذي كتبه **محمد حافظ**[١٢].

كتب **جون شيا** الصِّحافي الأميركيُّ البارز، ورئيس تحرير مجلة American Reporterبالمجلد السَّادس عشر برقم ٣٨٥١ مقالاً بعنوان: «الحرب ضدَّ الخلافة»، تضمَّن المقال رسالة موجهة إلى الرَّئيس أوباما تتعلَّق بما أسماه (دولة الخلافة الخامسة).

بدأ شيا مقاله بالإشارة إلى اجتماع الرئيس **أوباما** بِمُستشاريه من أعلى القيادات العسكريَّة والمدنيَّة لمناقشة مسألة إرْسال قوَّات إضافيَّة إلى أفغانستان، يقول **شيا**:

بعد عدَّة شهور من التروِّي أصْدَرَ الرَّئيس أوامرَه بانتِشار ثلاثين ألف جنديٍّ إضافيٍّ في أفغانستان، والآن ماذا عساي أن أقول والجنود في طريقِهم فعلاً إلى هناك؟!

أفغانستان، هٰذه البلاد التي أصبحت بعد ما يقرُب من عقد من الزَّمان رهانًا لكسْر العظام في اللُّعبة الَّتي يلعَبُها الجهاديون.

المشكلة هي أنَّ الرئيس ومستشاريه لا يُريدون الاعتِراف بأنَّ هٰذه اللعبة تأخُذ الآن منحًى جديداً، إنَّهم لا يريدون الاعتِراف بأنَّ الجهاديين لا يسعَون إلى غزو البلاد الإسلاميَّة؛ وذَلكَ لأنَّ لهم فيها قاعدة عريضة تنظُر إليهم وإلى قيادتِهم على أنَّهم يمثِّلون القيادة الروحيَّة في الإسلام، إنَّهُم يسعَون بدلاً من ذَلكَ

(١٢) . نص الرسالة الذي سأنشره هو النص الذي ذكره بترجمته فيما أظن الأستاذ نايف ذوابه في موقع الجمعية الدولية للمترجمين العرب.

إلىٰ بناء (دولة الخلافة الخامسة) الَّتي ينضوي الإسلام جَميعُه تحت حكمها، (الخليفة) في هٰذه الدَّولة هو الإمام، وهو القائد الروحي والحكومي، وكلُّ المسلمين يقرُّون له بذٰلكَ.

ماذا يعني هٰذا بالنسبة للرَّئيس؟

إنَّهُ يعني أنَّ الجنود الجدد، والجنود القدامى يُواجهون عدوًّا جديدًا، وهو أكثر الأعداء مخافة، وأضيف: إنَّه عدو لا يُقهر، ذٰلكَ ببساطة لأنَّه محض فكرة.

إنَّ هٰذه التَّنظيمات الجهاديَّة لا تهدف إلىٰ تحقيق فتوحات تكسب بها أرضًا، إنَّما تهدف إلىٰ تحويل العلمانيِّين والمسلمين المعْتدلين إلىٰ إسلام لم يُمارسوه من قبل، إنَّه الإسلام الَّذي يلتزم فيه المسلِمون بالتفسيرات الصَّارمة للقرآن، وهو الإسلام الذي تبنَّته المئات من التَّنظيمات الإسلاميَّة المشابهة المنتشِرة عبر العالم الإسلامي، خاصَّة بعد الهجوم النَّاجح علىٰ الولايات المتَّحدة في الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م.

إنَّ الخلافة بوصفها فِكْرة تتطلَّب إنجازَ انتِصارات عسكريَّة من شأنها أن تُحقِّق إجماعًا بَيْنَ المسلمين العاديِّين، يجعلُهم يتبنَّون فكر هٰذه التَّنظيمات، سواء من ناحية الشَّكل الذي تريده للإسلام، أو قبول القيادة الجديدة التي تقود هٰذه التَّنظيمات والتي تحقِّق هٰذه الانتِصارات، إنَّ تحوَّل عددٍ كافٍ من المسلِمين العاديِّين إلىٰ هٰذا الفكر وهٰذه القيادة يعنى أنَّ (اتِّجاه الريح) ضدَّ الأميركيِّين بدأ في التغيُّر.

إنَّ تصوُّري للسيناريو الخاصِّ بهٰذا التَّغيُّر سيَكون علىٰ النَّحو التَّالي:

ستفقد الحكومات القوميَّة في بلاد الشَّرق الأوسط شرعيَّتها الضَّعيفة، ولن تعُود الأوامر تصْدر من عواصم هٰذه الحكومات، إنَّما ستصدر من هناك، من

هٰذه المنْحدرات الجبليَّة التي يختبئ فيها قادةُ التَّنظيمات الجهاديَّة، وقد يكون أهم تغيُّر هنا هو تحوُّل الشّيعة من قم إلىٰ طهران إلىٰ أتباعٍ لقيادة التَّنظيمات السنيَّة، ولا يعني هٰذا أنَّ آيات الله وقياداتهم في إيران . بمن فيهم الرَّئيس الإيراني . سوف يفقدون نفوذَهم بَيْنَ الشيعة، أو أنَّ سلطاتهم ستتأثر، ولكنَّهُم سيجدون أنفُسَهم في وضعٍ يحتِّم عليهم الخضوع لهٰذا الفهْم السني للشَّريعة الذي سيفرضه قادة التَّنظيمات الجهاديَّة.

أمَّا هؤلاء الزُّعماء الذين يصرُّون علىٰ المقاومة، فإنَّهُ ما إن يعلن قيام دولة الخلافة الخامسة، ستتجاهلُهم قيادة هٰذه الدَّولة في بداية الأمر، وستعْمل علىٰ تَحويلهم إلىٰ منهجها، وإن لم يفعلوا فإنَّ مصيرَهم سيكون إمَّا السِّجن أو القتل.

لم تكن أوَّل إشارات لدولة الخلافة المفترضة سوى تَمريرها لكلمة (الخلافة)، وهٰذا الأمر لم يُلاحِظْه الكثيرون حينما ظهر علىٰ العديد من المواقع الإسلاميَّة الأصوليَّة.

وفي الوقْت الذي كان فيه الغرْب يُتابع إشارات هٰذه المواقِع بوصفها مظهراً للصِّراع ضدَّه، كانت هناك انتِصارات أُخْرَىٰ تتحقَّق في ميدان المعركة تمهِّد لميلاد دولة الخلافة.

من غير المحتمل أن تكون الاستراتيجيَّة التي قد تتبعها التَّنظيمات الجهادية قد اتبعت من قبل، فما أن يتَّخذ مئة ألف جندي أميركي وحلفاؤهم مواقعَهم في أفغانستان، فإنَّ هٰذه التَّنظيمات وقياداتها قد تلْجأ إلى استِخْدام سلطتها الرُّوحيَّة ومفرداتها العقديَّة؛ لتحوِّل ملايين المسلمين الَّذين انضمُّوا فعلاً تحت لوائِها إلىٰ جنود يُحاربون أعداء الإسلام.

حينما قدَّمنا لأفغانستان أوَّل مرَّة رحَّب الأفغان بنا وبحكومتِها التي صنعناها لهم، هٰذا كان بالأمس، أمَّا في الغد فإنَّ الأمر مختلف بجدٍّ، ستطْلب المجالس المنتخبة لدوْلة الخلافة حديثًا ـ الَّتي تسيطر علىٰ معظم أنْحاء البلاد ـ من كلِّ مسلمٍ: أن يضطلِع بدوره في الجهاد ضدَّنا، عندئذ تتغيَّر أوْضاعنا من قوَّات كانت تحْظى بشرفٍ نسبيٍّ، إلىٰ قوَّات أسيرة شرَك كبير للغاية، ويضيق عليها هٰذا الشرك يومًا بعد يوم.

الحقيقة الجليَّة هي أنَّهُ لا يستطيع أيُّ جيشٍ في العالم، ولا أيَّة قوَّة عسكريَّة ـ مهما بلغت درجة تسليحها ـ أن تهزم (فكرة).

يجب أن نقرَّ بأنَّنا لا نستطيع أن نحرق قادة هٰذه الفِكْرة في كلِّ بلاد الشَّرق الأوسط، ولا أن نحرق كتُبها، ولا أن ننشر أسرارها؛ ذٰلكَ لأنَّ هناك إجماعًا بَيْنَ المسلمين علىٰ هٰذه الفكرة.

إنَّ الشَّرق الأوسط يواجه اليوم القوَّة الاقتصاديَّة الموحَّدة للدُّول الأوربيَّة، هٰذا صحيحٌ، لكن علينا أن نعرِف أنَّهُ في الغد سيواجه الغرب القوَّة الموحَّدة لدولة الخلافة الخامسة.

ليسمح لي سيادة الرئيس أوباما أن أُبدي إليه بعض الملاحظات الهامَّة.

سيدي الرَّئيس:

إنَّ المعركة بَيْنَ الإسلام والغرْب معركةٌ حتميَّةٌ لا يمكن تجنُّبها، وهي ذاتُ تاريخٍ قديمٍ، ولا بدَّ أن نضعَ حدًّا لهذا الصِّراع، وليس أمامنا إلاَّ أن ندخل في مفاوضات سلام مع الإسلام.

إنِّي أتوقَّع أن يخبرَك البعض بأنَّه من المستبعد تماماً أن ندخُل في مفاوضات مع عدوٍّ متخيَّلٍ اسمه (الخلافة الخامسة)، لٰكنَّهُ يجب عليك بوصفك قائداً

عسكريًّا وأنت تصوغ سياستك في التعامل مع الإسلام أن تعترِف بسخافة الادِّعاء بأنَّ الإسلام منقسم علىٰ نفسه، وأن تعترف كذَلكَ بأنَّ توحيد بلاد الإسلام تحت إمرة قائدٍ كارزمي أمرٌ محتملٌ.

إنَّهُ من المسلَّم به أنَّه يصعب محاربة شبح لا يمكن رؤيته، أو حَتَّىٰ الاعتقاد بوجوده، لٰكنَّ الأشدَّ صعوبةً هو أن تجِد هٰذا الشَّبح قد أصبح حقيقة واقعةً لَمْ تحسب لها حساباتك، فإذا حدث ذَلكَ. وهو ما تسعى إليه التَّنظيمات الجهاديَّة . سنكون قد وقعنا في شركٍ كبيرٍ آخَر؛ الملايين من المسلمين سيقِفون ضدَّنا، وعندئذ يصعبُ عليْنا التَّراجُع.

إنَّ معظم الأميركيين يكرهون التَّعايش مع حرب طال أمدُها من أجل ضمان إقامة ديمقراطيَّة حرَّة في أفغانستان، أو من أجل مساندة أنظِمة في باكستان والعراق، ويكره الأميركيون كذَلكَ فكرة وجُودٍ أميركيٍّ دائم لمْنع احتمال تحقيق التَّنظيمات الجهاديَّة نصراً حاسماً عليْنا يُفقدنا نمط الحياة الذي نعيشه، إنَّنا شعب يملك إرادة قويَّة، ويجب ألاَّ ننتظر حَتَّىٰ تتحطَّم إرادتنا من قبل عدوٍّ يَملك إرادة أقوى.

إنَّنا نعيش مرحلة تتصارع فيها العاطفة مع الأيديولوجيا؛ لهذا فإنَّ الأمر يتطلَّب منا إحداث توافق مع الإسلام، قبل أن تَسيل شلالات الدِّماء من أجساد الأميركيِّين، ولهٰذا أمر قد يحدث قريبًا، يجب أن تكون لديْنا الحكمة فلا نضع أنفُسَنا في قلب الحرْب مع دولة الخلافة الخامسة، والأفضل لنا أن نقِف علىٰ حدودها، يجب أن نزِنَ أنفُسَنا جيِّدًا، يجب أن نفكِّر بضميرنا الخاص كأميركيِّين، فليس من الحكمة أن نساند أنظِمة غير ديمقراطيَّة وعالية الفساد ضدَّ دولة الخلافة التي تصوغ سياستَها أصلاً

وفق عقيدة تُحارب الفساد والقيادة غير الرَّاشدة، بأكثر ممَّا تحاربه المبادئ اليهوديَّة . المسيحيَّة الَّتي تتَّسم بالتَّسامح والتَّعاطف مع الخطيئة والمخطئين علىٰ السَّواء.

سيادة الرئيس:

علينا ألاَّ نخاف من قيام حكومة أمينة أيًّا كانت صفتها، إنَّ الَّذي علينا أن نَخافه هو قيادات تخون مبادئها الأساسيَّة.

إنَّنا مسؤولون يا سيادة الرئيس عن العديد من الصَّفقات التي تعمل علىٰ تمكين الفساد في دول الشرق الأوسط، وعن العديد من الخطوات غير العقلانيَّة التي اتَّخذناها لضمان بقاء الحكومات الفاسدة، إنَّهُ بإمكانِنا أن ننسحب من صراعٍ ظاهر الملامح بدلاً من أن ندخُل في حربٍ ضدَّ جيش غير منظور، وبمعنى أصح: ضد (فكرة)، إنَّنا إذا لم نعترِف بهٰذه الحقيقة، فعليْنا أن نتوقَّع هزيمةً أو انسحاباً حتميًّا، عليْنا أن نعرف: مَن هٰذا الذي نحاربه؟ وما الذي نحارب من أجله؟ إنَّه عدوٌّ متسلِّحٌ بدينه يُهاجِمُنا يومًا بعد يوم، هل نحن نحارب من أجل السَّيطرة علىٰ أراض ومقاطعات، أم نحارب فكرة حانَ وقتُها الآن تملؤها رغبة في الانتِقام منَّا؛ لقتلنا مئات الآلاف من الأرواح البريئة؟

الحقيقة هي أنَّنا نحارب الآنَ في أفغانستان أكبر بلاد العالم في تِجارة الهيروين، لصالح حكومة مِن أشدِّ حكومات العالم فساداً، لقد انسحبْنا من العراق في وقتٍ بدأتْ فيه المصالحة الوطنيَّة تجني ثمارها، وعلىٰ رغْم ذٰلكَ تتصاعدُ الهجمات ضدَّ الجنود والمدنيِّين، ومع الأسف فإنَّ الحكومات الَّتي شكَّلْناها هناك هي ذاتها تُعتَبَر شكلاً جديداً من الحكومات التي تسْعى إلىٰ تأْخير وتَحطيم أُسُس الديمقراطيَّة الحرَّة.

إنَّنا لا نستطيع أن نملي مستقبل السِّياسة علىٰ الشَّرق الأوسط، أو نرسم سياستَنا لكي نضْمن فقط بقاء أنظمة بعينها، أو لضمان استِمرار إمدادنا بمصدرٍ واحدٍ، إنَّ مستقبلنا يكمن في التِّجارة مع عالم ينعم بالسَّلام، تتوافر فيه الوظائف لشعْبِنا، ويحدث فيه التقدُّم في التكنولوجيا والاختراعات، هٰذا هو الَّذي يصنع الفارق، دعنا نُحارب من أجل ذٰلكَ، وليس من أجل حكومات شيْطانيَّة.

سيدي الرئيس:

أشكرك لاستماعك إليَّ، وأنا فخور بأنِّي أعطيتُك صوتي في انتخابات الرِّئاسة الأخيرة.

خاتمة

النَّص واضح ولا يحتاج أي تعليق علىٰ أيِّ حالٍ. لا جديد فيه من جهة الشكل. فيه بيان لمخاوف الغرب من الخلاف، ومخاوف الغرب من الإسلام، وليس في ذٰلكَ من جديد، وتأكيد لحتمية الصِّراع بَيْنَ الغرب والإسلام، ولا جديد في ذٰلكَ أيضاً وفق المنظور الغربي علىٰ أقل تقدير، بل الاستراتيجيا الغربيَّة حيال المنطقة العربيَّة خاصَّةً والإسلامية عامَّةً.

حَتَّىٰ الدَّعوة إلىٰ المصالحة الغربيَّة الإسلاميَّة ليست بالجديدة، وكذٰلكَ المحاولة الجادة لفهم الإسلام بعيداً عن الصورة النمطية المرسخة له في العقلية الغربيَّة، وجدنا في الغرب من يفكر بهٰذه الطَّريقة المنطقيَّة والواقعيَّة، لا تأثير لهم رُبَّما، ورُبَّما بدأ مثل هٰذا الصوت يجد صدى لدى السَّاسة الغربيين.

الجديد هنا مسألة واحدة، رُبَّما مرَّتا مروراً عابراً ورُبَّما أثارتا الانتباه. تحدثت فيها كثيراً قبل ذَلكَ بكثير. وهي أنَّ المخاوف الحقيقيَّة هي من قادة العرب، وإذا كان الغرب قد بدأ يتَّجه إلىٰ المصالحة مع الإسلام، مع صعوبة تصور ذَلكَ، فإنَّ قادة العالم العربيِّ والإسلاميِّ هم الذين يخوِّفون الغرب من قيام الخلافة الإسلاميَّة، يستغلُّون مخاوف الغربيين من بعبع الخلافة الإسلاميَّة ويخوِّفون الغرب من قيامها ليتسجلبوا الدعم الأمريكي لبقائهم في السلطة، لإيمانهم بأنَّ شرعيتهم مستمدَّة من الاعتراف الأمريكي أو الغربي. أي بصيغة أُخْرَىٰ قادة العرب والمسلمين هم المتخوفون من وصول الإسلام إلىٰ السُّلطة وليس فقط من نجاح الإسلام في السُّلطة، ولا يعني ذَلكَ أن العالم الغربي سيكون مسروراً من وصول الإسلام إلىٰ السلطة أو نجاحه فيها.

لنعد إلىٰ نصه لنذكر به. قال: إنَّ تصوُّري للسيناريو الخاصِّ بهٰذا التَّغيُّر سيَكون علىٰ النَّحو التَّالي: «ستفقد الحكومات القوميَّة في بلاد الشَّرق الأوسط شرعيَّتها الضَّعيفة، ولن تعُود الأوامر تصْدر من عواصم هٰذه الحكومات، إنَّما ستصدر من هناك، من هٰذه المنْحدرات الجبليَّة التي يختبئ فيها قادةُ التَّنظيمات الجهاديَّة، وقد يكون أهم تغيُّر هنا هو تحوُّل الشّيعة من قم إلىٰ طهران إلىٰ أتباعٍ لقيادة التَّنظيمات السنيَّة، ولا يعني هٰذا أنَّ آيات الله وقياداتهم في إيران . بمن فيهم الرَّئيس الإيراني . سوف يفقدون نفوذَهم بَيْنَ الشيعة، أو أنَّ سلطاتهم ستتأثر، ولٰكنَّهُم سيجدون أنفُسَهم في وضعٍ يحتِّم عليهم الخضوع لهذا الفهْم السني للشَّريعة الذي سيفرضه قادة التَّنظيمات الجهاديَّة. أمَّا هؤلاء الزُّعماء الذين يصرُّون علىٰ

المقاومة، فإنَّهُ ما إن يعلن قيام دولة الخلافة الخامسة، ستتجاهلُهم قيادة هٰذه الدَّولة في بداية الأمر، وستعْمل علىٰ تَحويلهم إلىٰ منهجها، وإن لم يفعلوا فإنَّ مصيرَهم سيكون إمَّا السِّجن أو القتل».

هٰذه هي نقطة البداية في فهم خطر نجاح الإسلام في السُّلطة. وهٰذه هي نقطة البداية في فهم ما اعترى ويعتري نجاح الإسلاميين في الوصول إلىٰ السُّلطة في مصر وتونس وليبيا ومحاربة الثَّورة السُّورية خوفاً من وصول الإسلاميين إلىٰ السُّلطة. وفيما سيأتي من فصول تبيان لما حدث وكيف.

الفصل الثالث

نجاح العدالة والتنمية في السلطة

في غفلةٍ من عين الزَّمن، رُبَّما، ورُبَّما بترقبٍ، لا يهم[١٣]، فاز حزب العدالة والتَّنمية ذو التُّوجه الدِّيني، الإسلامي، بأغلبيَّة مطلقة في الانتخابات التَّشريعيَّة. أي يمكنه تشكيل الحكومة منفرداً في السُّلطة من دون شراكةٍ أو وصايةٍ، أو ابتزاز من أي حزبٍ آخر، ويكون مسؤولاً عن مشروعه السِّياسي ومنفِّذاً له.

هنا نقطة البداية التي يجب الانتباه إليها جيِّداً. أوَّل مرَّةٍ يصل حزبٌ ذو توجه دينيٍّ إلىٰ السُّلطة منفرداً حرًّا في تشكيل الحكومة وسياسة الدَّولة في ولاية دستويَّة، في تركيا وفي العالم الإسلامي كلِّه منذ نهاية عصر الخلافة، ولهٰذا الوصول رسميٌّ فعليٌّ لا شكليٌّ ولا منظراً ديكوريًّا فقط. كان هناك أكثر من وصول جزئيٍّ في تركيا، سنعود إلىٰ ذٰلكَ بعد قليل، ولذٰلك كانت التَّجربة مبتورةً، ناقصة، وعلىٰ الرَّغْمِ من ذٰلكَ كانت غالباً بل دائماً تنتهي نهاية مفاجئة إقصائيَّة صريحة مع حظر الحزب وقادته. ولهٰذا ما كان يحيط إحاطة كبيرة بنجاح حزب العدالة والتنمية. كانت المخاوف كبيرةً جدًّا من الإجهاز علىٰ هٰذه الانتخابات بطريقةٍ أو أُخْرَىٰ كما كان يحدث في العادة.

(١٣) . سنبين فيما سيأتي لماذا قلنا: في غفلة من عين الزمن فاز حزب العدالة والتنمية.

أمَّا في العالم الإسلامي كله فكل وجود أو نجاح لحزب إسلامي فهو إمَّا شكليٌّ وتكملة ديكورات سلطة لا قيمة له ولا دور ولا أثر ولا قدرة كما في الباكستان وأندونسيا والمغرب والأردن مثلاً... أو نجاحٌ فعليٌّ (حدث أقلَّ من عدد أصابع اليد الواحدة) وحورب فوراً ولم يسمح له باستلام السُّلطة أبداً تحت طائلة الحرب الأهلية (الجزائر) أو حصار التَّجويع (فلسطين) أو الانقلاب العسكري (مصر) أو اقتسام السُّلطة لشلِّ قدرة الحزب وفاعليته (تونس وليبيا).

ما الذي حدث بنجاح حزب العدالة والتنمية في تركيا؟

لقد أديرت دفَّة الحكم بطريقة محنَّكة ذكية كفاءة منقطعة النَّظير حَتَّىٰ تاريخها في تركيا. لقد استطاعت الدَّولة أن تحقِّق نقلاتٍ مدهشةً في أوقاتٍ قياسيَّةٍ. لقد استطاع الحزب الحاكم، العدالة والتَّنمية، من خلال نجاحاته المدهشة علىٰ مختلف الأصعدة والمستويات وخاصَّةً منها الاقتصاديَّة وحَتَّى السياسيَّة أن يوسع دائرة حاضنته الشَّعبية أكبر بكثير جدًّا مما كان يُتَوَقَّعُ. بل لقد وصلت نجاحات حزب العدالة والتنمية في إدارة البلاد علىٰ الصَّعيدين الاقتصادي والسِّياسي إلىٰ درجة محرجةٍ للخصوم الذين باتوا عاجزين عن تجييش الشَّارع ضدَّه في كثير من المواقف. «تركيا حاربت الإسلاميين وقمعتهم وحاصرتهم وألغت أحزابهم لعشرات السنين، لٰكنَّهُم عادوا وحكموا بقوَّةٍ، لا بل نهضوا بالبلاد اقتصاديًّا بشكل لم يسبق له مثيلٌ في تاريخ تركيا الحديث»(١٤).

(١٤). الدكتور فيصل القاسم: منشور على صفحته في الفيس بوك. السبت ٢٠١٤/٢/١م.

لنقف عند بعض أنموذجٍ من التَّعليقات علىٰ النَّجاح الكبير وربَّما المبهر لحزب العدالة والتَّنمية في السُّلطة. هو الذي كتبه **حسين باكير**، يقول في مطلع البحث: «تشكِّل قصَّة نجاح حزب العدالة والتنمية في المجال الاقتصادي التركي إحدى أهمِّ عوامل ازدياد شعبية الحزب جماهيريًّا، ومن العناصر الأساسية التي دفعت إلىٰ إعادة فوزه في الانتخابات التَّشريعيَّة والرئاسيَّة لهٰذا العام والتي استطاع من خلالها اكتساح جميع منافسيه وخصومه وإحراج النُّخبة العلمانيَّة والجيش ووضعهم في خانة ضيقة»(١٥).

ثلاث نقاط في هٰذه المقدمة تختصر المسافات كلها، الأولى النجاح المبهر للحزب في قيادة الدولة علىٰ الصَّعيد الاقتصادي. ومن البداهة بمكان أن النَّجاح الاقتصادي للدَّولة لا يمكن أن يتم ما لم يكن هناك نجاحٌ سياسيٌّ واجتماعيٌّ علىٰ الأقل، ولذلك تابع **حسين باكير** علىٰ الفور قائلاً: «ولا تقتصر مفاعيل النَّجاح الاقتصاديِّ وتأثيراتها علىٰ الدَّاخل التركي فقط بل تتعداه إلىٰ إطارها الإقليمي والدولي وهو الذي قد يسمح لها في الأجل القريب بلعب أدوارٍ إقليميَّةٍ كبيرةٍ، يكون الاقتصاد العامل الأول وراء تحريكها»(١٦).

والنقطة الثانية نجمت عن الأولى وهي إعادة فوزه الكاسح وليس العادي في الانتخابات التَّشريعيَّة والرئاسيَّة. ومثل هٰذا الفوز لا يمكن أن يتم في مجتمعٍ ديمقراطيٍّ لولا النَّجاح الباهر في إدارة شؤون الدَّولة السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة. ولهٰذا ما يقود إلىٰ النُّقطة الثَّالثة وهي

---

(١٥). علي حسين باكير: **الاقتصاد التركي؛ معجزة حزب العدالة و التنمية** (بحث نت). موقع حزب العدالة والتنمية. في ١٩ أيلول ٢٠٠٧م.

(١٦). م. س. ذاته.

إحـراج الخصـوم في الأحـزاب والتَّكـتلات الأُخْـرَىٰ الـتي قـادت الـبلاد علـىٰ مدار عشرات السِّنين الماضية.

لا يرتهن نجاح أيُّ حزبٍ في السُّلطة علىٰ الصَّعيد الاقتصادي بانهيار سابقٍ علىٰ استلامه السلطة، ولا يرتهن النَّجاح السِّياسي للحزب في السُّلطة بتدهور علاقات الدَّولة السِّياسيَّة في الحكومة أو الحكومات السَّابقة. ولٰكنَّ النَّجاح الكبير والتَّقدم المتميز في أي من المسارين لا يمكن أن يكون إلا علىٰ أنقاض انهيار سابق، وتدهورٍ سابقٍ. وهٰذا ما كان في حقيقة الأمر قبل وصول حزب العدالة والتنمية في تركيا إلىٰ السُّلطة. هٰذا لا يعد مدحاً إذن لنجاح الحزب من الناحية المنطقية، ولٰكنَّهُ يفتح باب التساؤل عن أسباب إخفاق الحكومات السَّابقة للأحزاب الأُخْرَىٰ في إدارة الدولة. وهٰذا موضوع يستحقُّ وقفة أُخْرَىٰ علىٰ أيِّ حال.

قلنا إنَّنا لا نمدح نجاح الحزب ونعني ذٰلكَ تماماً، ذٰلكَ أنَّ فرص نجاح أيِّ حزبٍ في إدارة الدولة تكون كبيرةً إذا كانت بنى الدَّولة في حالة تدهور وانهيار، ولٰكنَّ بشرط أساسيٍّ وحيدٍ هو إرادة النَّجاح والإخلاص في العمل. هنا يأتي دور الحزب، وهنا يجب أن نقر بالحقيقة، والحقيقة أنَّهُ لا يمكن إنكار أنَّ هٰذا الشرط تحقَّق لحزب العدالة والتَّنمية، وعلميًّا ومنطقيًّا وأخلاقيًّا أقول: إنَّ الحزب يؤدِّي واجبه ولا يتطوع في ذٰلكَ تطوعاً.

ما الذي حقَّقه حزب العدالة والتنمية في ولايته الدستورية الأولى؟

يجيب **حسين باكير**، ويشهد بذٰلكَ الواقع شهادة تقطع دابر الشَّك باليقين: «استطاع الحزب في هٰذه الفترة النُّهوض بالاقتصاد التركي بما يشبه

المعجزة»[١٧]. ووفقاً لتقرير أعدَّه **كريم بلدجي** فقد «حقَّقت صادرات تركيا أرقاماً قياسية وهي تحطِّم الرَّقم تلو الآخر ووصلت إلى ١٠٠ مليار دولار، وقد نما الناتج المحلي الإجمالي خلال الأربع سنوات ونصف من ١٨١ مليار دولار ليصل إلىٰ ٤٠٠ مليار دولار. أمَّا معدَّل الدَّخل الفردي فقد ارتفع من ٢٥٨٩ دولار للفرد عند مجيء حزب العدالة والتَّنمية للحكم إلىٰ حدود ٥٧٠٠ دولار. وبينما كان النُّموُّ الاقتصاديُّ في تركيا يشكِّل نسبة ٢,٦% منذ عام ١٩٩٣م وحَتَّى عام ٢٠٠٢م، فقد ارتفعت هٰذه النِّسبة بشكلٍ هائلٍ ومضاعفٍ وسريع إلى ٧,٣% ما بَيْنَ عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٧م»[١٨].

ومما لا يمكن إغفاله أو تجاهله أنَّ تركيا تقدَّمت علىٰ الصَّعيد العالمي «لتحتل في عام ٢٠٠٧م المركز الـ ١٧ بناتج إجماليٍّ يساوي حوالي ٤١٤ مليار دولار خلف هولندا واستراليا مباشرة بعد أن كانت تركيا تحتل المركز الـ ٢٦ في العام ٢٠٠٢م، بواقع ١٨٣ مليار دولار فقط»[١٩].

لم تتوقف عجلة النمو والنجاح منذ ٢٠٠٧، بل منذ ٢٠٠٣م وحَتَّىٰ الآن، وإن بدأت فجوة تظهر بسبب التحديات بل بسبب السعي لوضع حدٍّ لهٰذا النجاح في الآونة الأخيرة. ولنقف عند أنموذج من نوع آخر، مكمل لما سبق، «فاستناداً إلىٰ الأرقام تجاوز الإنتاج التركي من السيارات المليون سيارة في العام المنصرم ٢٠١٣م. وتركيا بهٰذا المستوى من الانتاج تتقدم لتحتل المركز الخامس علىٰ قائمة مصنعي السيارات الرئيسيين في أوروبا... ويجعل قطاع

---

(١٧). م. س. ذاته.

(١٨). م. س. ذاته.

(١٩). م. س. ذاته.

صناعات السيارات التركي يساهم بنحو٢١% من إجمالي قيمة الصادرات الصناعية التركية إلىٰ الأسواق الخارجيَّة التي بلغت في العام المنصرم ٢٠١٣ حدود ١٥٠ مليار دولار»[٢٠].

ويتابع كاتب المقال **جاسم العطاوي** قائلاً: «وفي موضوع إنجازات الاقتصاد التركي ونجاحاته علىٰ مستوياته كافةً، تتحدث الصحافة الأوروبية ـ هٰذه الأيام ـ عن خططٍ تركيَّةٍ لدخول سوق النَّقل الجوي الأوروبي علىٰ نحوٍ قويٍّ... هٰذه الصحافة تشير في هٰذا المجال إلىٰ مشروعٍ كبيرٍ لدىٰ الحكومة التركية لبناء مطار ضخم في شمال البلاد ينتظر أن يكون منافساً خطيراً لأكبر مطارين الآن في أوروبا؛ مطار فرانكفورت الألماني، ومطار شيخيبول الهولندي»[٢١].

وبعدما كان الناتج المحلي ٤١٤ مليار دولار في عام ٢٠٠٧م، واثباً عن الـ ١٥٨ مليار دولار في عام ٢٠٠٢م، تضاعف مرة ثانية «في السنوات الأخيرة ليصل إلىٰ ٨٥٠ مليار دولار»[٢٢]. أي إنَّ الناتج المحلي قد تضاعف أكثر من خمس مرات خلال أقل من عشر سنوات هي سنوات حكم العدالة والتنمية.

حسناً، إنَّ مسألة الإحصاءات والبيانات أمرٌ سيطول بنا. هي ليست مستحيلةً علىٰ أيِّ حالٍ. يمكن لمن يريد التَّحقُّق أن يجدها بسهولةٍ. حسبنا منها ما وقفنا عنده من صورةٍ عامَّة تعطي تصوُّراً واضحاً عن مدى النَّجاح المبهر الذي حقَّقه حزب العدالة والتَّنمية في قيادة الدَّولة خلال نحو عشر سنوات

---

(٢٠) ـ جاسم العطاوي: **نجاح اقتصادي كبير «للإسلاميين المعتدلين»** «صادرات». جريدة الأيام ـ البحرين ـ العدد ٩٠٤٩ ـ السبت ١٨ يناير ٢٠١٤م الموافق ١٦ ربيع الأول ١٤٣٥هـ.

(٢١) ـ جاسم العطاوي: م.س.

(٢٢) ـ جاسم العطاوي: م.س.

متتاليةٍ من وصوله إلىٰ السُّلطة؛ سلسلة نجاحاتٍ بدأت منذ السَّنة الأولى واستمرَّت في تصاعدٍ مضطردٍ مدهش سنةً فأُخْرَىٰ علىٰ مختلف الأصعدة والمستويات؛ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتنموية...

هٰذه نتيجة وصول الإسلام المعتدل إلىٰ السُّلطة. فماذا كانت نتيجة هٰذه النَّتيجة؟ لنقل بصيغةٍ أوضح: ما انعكاسات هٰذا النَّجاح علىٰ صعيد نظرة العالم؛ علىٰ المستويين الشعبي والرسميِّ؟

هٰذا ما سيكون موضوع الفصول التالية كلها تقريباً بعد الفصل التالي الذي سيتناول ردود أفعال نجاح العدالة والتنمية في الانتخابات.

الفصل الرابع

ردود الفعل
على فوز العدالة والتنمية

لعَلَّه من المستحسن قبل بيان انعكاسات نجاح حزب العدالة والتَّنمِية في السُّلطَة أن نقف عند ردود الأفعال الأولى علىٰ فوز الحزب في الانتخابات علىٰ المستويين الشَّعبي والرَّسمي علىٰ الصَّعيدين الإسلامي والعالمي لما لذَلك من أثر في توضيح الانعكاسات وما ترتب عليها من سلوكاتٍ وإجراءات.

أولاً: على المستوى الشَّعبي

لا يمكننا أن ننكر أنَّ فوز حزب العدالة والتَّنمِية فوزاً تامَّ الأركان قد وَلَّد ابتهاجاً في الأوساط الشَّعبيَّة في العالم الإسلامي، رُبَّما في العالم العربي على نحو الخصوص أكثر من غيرها بحكم العلاقة التَّاريخيَّة والبعد الدِّيني في آن معاً. هي العاطفة الشَّعبية التي تحكمها المشاعر الصَّادقة بغضِّ النَّظر عما تستند إليه من معرفةٍ سطحيَّة أو عميقةٍ. ومما كان عاملاً مساعداً إلىٰ حدٍّ كبير في تأجيج مشاعر الفرح والابتهاج في الشَّارع الإسلامي هو أنَّ هٰذا الفوز الصَّريح المخوِّل بتشكيل حكومة من دون أيِّ شراكةٍ قد جاء بعد الإخفاقات السَّابقة لأسلاف العدالة والتَّنمِية في مثل هٰذا الفوز علىٰ امتداد عشرات السنين، لأسباب سنأتي عليها بعد قليل. إلىٰ جانب الانقلابات علىٰ فوز الأحزاب الإسلاميَّة في

العالم العربي مرات عدَّة، ويتزامن ذلكَ مع إخفاقات ذريعة لسياسات الأنظمة العربيَّة على مدار عشرات العقود المنصرمة وتجريبها الأيديولوجيات السياسية كلها ما عدا الأيديولوجيا الإسلاميَّة.

من الصُّعوبة بمكان استعراض الشَّواهد والأمثلة الدَّالة على ذلكَ، ولٰكنَّ شواهد معينة تبقى لها بصمتها.

ألماً على ما يحدث في سوريا وما يحدث للمسلمين في العالم أطلقت مسلمةٌ روسيَّةٌ رسالةً قويَّةً نُشرت على اليوتيوب الكثير من المرات، وكلَّما نشرت تحذفها إدارة الموقع. إنَّهَا تستنجد وتستغيث لتخليص المسلمين المظلومين المسحوقين وخاصَّة في القفقاس. تقول: «يا أيُّهُا المسلمون في الشَّام... أنتم على مفترق طرق... ندعوكم... بل نطالبكم بشدَّة بإقامة خلافة إسلاميَّة... الإسلام بحاجة للسُّلطان... الإسلام بحاجةٍ للخلافة... أين أنت يا خليفة المسلمين أين أنت يا أمير المؤمنين؟»(٢٣).

هٰذه الرِّسالة تختصر كثيراً مشاعر أكثر المسلمين في العالم. نجاح حزب العدالة والتنمية بعد سلسلة طويلة من المحاربة والحظر على مار عشرات السنين أيقظ في قلوب المسلمين حلماً لم ينم وهو عودة الخلافة الإسلاميَّة. ليس بالضَّرورة عودة الخلافة بما هي في دلالاتها الكاملة وإنما حسبها أنَّها صورة دولة إسلاميَّة فعليَّة لا شكليَّة. هٰذا على الرَّغْمِ أنَّ حزب العدالة والتَّنمية لم يطرح شيئاً من ذلكَ في مشروعه ولا في خطاباته، وحَتَّىٰ

(٢٣) . نشرت هٰذه الرسالة على موقع اليوتيوب بعنوان نداء من مسلمة روسية لأهل الشام، مسلمة روسية تستغيث بخليفة المسلمين، مسلمة روسية تناشد المسلمين... ولٰكنَّهَا تحذف كلما نشرت، ولا يفتح الفيديو كاتباً تم حذفه.

الدستور التركي ذاته لا يسمح بذلكَ إلىٰ حدٍّ بعيد. ولٰكنَّ طموح المسلم لا يعرف لهٰذه الحدود ولا يضعها في حسابه. ليس المسلم وحده في تجاهل الحدود أمام طموحه.

فرح المسلمون في العالم بنجاح حزب العدالة والتنمية رُبَّما أكثر مما فرح كثير من الأتراك أنفسهم. وتوسموا في هٰذا النجاح الخير أكثر من كثير من الأتراك. ولٰكنْ في المقابل رُبَّما لم يعول أحدٌ الكثير من الأماني فعليًّا علىٰ وصول العدالة والتَّنمية إلىٰ السُّلطة. أعني أنَّ فرحتهم بنجاحه كانت فرحة شخصيَّة لا جمعيَّة. كل واحد فرح لوحده وكأن نجاح حزب العدالة والتنمية هو نجاح شخصي له وليس نجاح تجربة إسلاميَّة في السُّلطة، وليس نجاح مشروعٍ إسلاميٍّ. ولذٰلك لم يكن هناك توقعات بولادة مشروع إسلامي متكامل، ولا انتشار التَّجربة الإسلاميَّة في السُّلطة من قبيل ما حدث لدى انتصار الثَّورة الإسلاميَّة الإيرانيَّة وانتشار فكرة تصدير الثَّورة وإن كانت الطائفية واضحةً الرَّائحة في تصدير الثَّورة، ولهٰذا الأمر هو ما جر المنطقة إلىٰ الحرب العراقيَّة الإيرانيَّة التي دامت نحو عشر سنوات.

جماهير المسلمين إذن فرحت بالنجاح وتوسمت فيه الخير وباركته ولٰكنَّهَا لم تفكر في الخطوة التالية. ولأنَّهَا محرومةٌ من التَّفكير بإرادتها وبالاستبداد الذي يحكمها لم تعوِّل علىٰ وصول الإسلامي السِّياسي إلىٰ السُّلطة في تركيا أي تعويل، ولم يخطر في بالها أن تفكر في الخطوة التَّالية. بقيت الفرحة نشوة من حلم يقظة. ولولا نجاحات الحزب الكبيرة جدًّا علىٰ مختلف الأصعدة والمستويات، وتقديمه نفسه بَيْنَ الفينة والأُخْرَىٰ بصدمات كبرى للعقل العربي والإسلامي لماتت نشوة الفرح لهٰذه في مهدها وما تعاملوا مع الحزب إلا علىٰ أنَّهُ مثل أي حزب يساريٍّ أو يمينيٍّ أو غير ذٰلكَ.

التفكير في الخطوة التالية هو ما يفتقر إليه المسلمون والأحزاب الإسلامية قاطبةً، هم سقف تفكيرهم الذب عن أنفسهم تهماً لا تنفك تصفعهم بالتتالي.

ثانياً: على مستوى الأنظمة الإسلامية

الأنظمةُ الإسلاميَّة ليست بحاجةٍ أبداً لمن يعرفها علىٰ الإسلام، ولا هي بحاجة لمعرفة نتائج تجربة فوز حزبٍ إسلاميٍّ بالسُّلطَة. إنَّهَا تعرف كلَّ شيءٍ تقريباً.

بعيداً عن نظريَّة عمالة أنظمة العالم العربيِّ والإسلاميِّ أو كونها مرتهنةً للغرب أو تابعةً له بصيغةٍ أو بأُخْرَىٰ... افتراضاً، لن نعد ذَلكَ صحيحاً. إنَّ الأنظمة الحاكمة في العالم العربيِّ والإسلاميِّ كلها من دون استثناء هي إمَّا أنظمةٌ استبداديَّةٌ أو تفرديَّةٌ أو غيرُ تداوليَّةٍ للسُّلطة... ولن نتحدث عن ارتهان بعضها للخارج ارتهاناً شبه مطلق لحراسة مصالح الخارج علىٰ حساب مصالح الشَّعب والدَّولة والأمَّة، وهي مسألةٌ فوق الشَّكِّ لا يحق لأحد الطَّعن فيها.

إذن هٰذه الأنظمة ليست بحاجة لمعرفة نتائج فوز حزب إسلاميٍّ في الانتخابات، وليست بحاجةٍ لترقُّب نتائج هٰذا الفوز. لقد كشفت الآونة الأخيرة حقيقةً تكاد تكون عصيَّةً علىٰ الطَّعن أو الشَّكِّ وهي أنَّ فزَّاعة التَّطرف الإسلاميِّ، والخوف من فوز أيِّ حزبٍ إسلاميٍّ بالسُّلطَة... هي صناعة أنظمة الدُّول الإسلاميَّة أكثر مما هي صنيعة العالم الغربيِّ. لأنَّ فرص فوز أيِّ حزب إسلاميٍّ في أي انتخاباتٍ ديمقراطيَّة وفرص نجاحه في إدارة الدَّولة أكبر من فرص أكبر الأحزاب غير الإسلاميَّة. ولذلك كان فوز حزب العدالة والتَّنمِية الإسلامي الاتجاه في تركيا فوزاً بالأغلبية صدمةً صاعقةً للأنظمة الحاكمة في العالم

الإسلاميِّ ومنها العربيَّة، ورُبَّما العربيَّة أكثر من غيرها. لم تكن هناك أيُّ فرحة إلا علىٰ صعيد التَّهاني البروتوكوليَّة والمجاملات أمام شعوبها برسائل إعلاميَّةٍ ظاهريَّةٍ غير حقيقيَّةٍ.

قد يعترض معترضٌ بأنَّ هٰذا الكلام غيرُ صحيحٍ، لأنَّهُ لو كان الأمر كذٰلكَ لما فتحت هٰذه الدُّول وخاصَّةً العربيَّة أسواقها أمام السِّلع التركيَّة. الاعتراض صحيحٌ شكلاً باطل مضموناً. والسُّؤال الجدير بالطرح هو: هل هٰذه الدُّول هي التي فتحت أسواقها أمام الاقتصاد التُّركي أم أنَّ الاقتصاد التُّركي غزا أسواقها لأسبابٍ كثيرةٍ يمكن الرُّجوع إلىٰ السِّياسيين والاقتصاديين فيها؟ فرقٌ كبيرٌ بَيْنَ أن تفتح الدول أسواقها وبَيْنَ أن تُغزى هٰذه الأسواق إما بالقوَّة التَّنافسيَّة للسِّلعة أو بالرَّغبة الشَّعبية في هٰذه البلدان العربيَّة.

الحقيقة التي يجب أن ندركها جيِّداً هي أنَّ حكام العرب وحكام المسلمين هم الذين لا يقبلون أن تنجح أيُّ تجربةٍ إسلاميَّة في السُّلطة ولا في غيرها لأنَّ نجاح الإسلام السِّياسي في السُّلطة يعني عدم بقاء حاكمٍ عربيٍّ علىٰ رأس عمله، ولذٰلك تضافر ويتضافر الحكام العرب جميعاً علىٰ محاربة الظَّاهرة الإسلاميَّة بأيِّ شكلٍّ من أشكال ظهورها، إنَّهُم يصنعون المتطرفين في أقبية المخابرات ليحاربوا المعتدلين وليحاربوا الإسلام ذاته تحت عنوان محاربة التطرف... وحكام العرب هم أكثر من حارب ويحارب التَّجربة التُّركية ولن يهنأوا حَتَّىٰ يسقطوا حزب العدالة والتَّنمية مهما كلفهم ذٰلكَ من ثمن، وهم كما سنبين لاحقاً من أسقط التجربة المصريَّة.

عندما فاز الأخوان بالسُّلطة في مصر قاطعتها الأنظمة العربيَّة وساهمت جميعاً في محاربتها والعمل علىٰ إسقاط التَّجربة الإسلاميَّة، ليس

المقصود الأخوان بقدر ما أنَّ المقصود أي تجربةٍ إسلاميَّةٍ في السُّلطة. وأجهضت هٰذه التَّجربة في مصر، والجهود في تونس علىٰ قدمٍ وساقٍ لإقصاء الإسلاميين، وعلىٰ قدمٍ وساق أيضاً سائرةٌ كلُّ الجهود العربيَّة لإسقاط حزب العدالة والتَّنمية في تركيا بسبب تصاعد شعبيته في العالم العربي والإسلامي...

ولذلك فإنَّ الأنظمة في العالم العربيِّ والإسلاميِّ هي التي تقود الحرب الحقيقيَّة ضدَّ الإسلام والإسلام السِّياسي وضدَّ نجاح أيِّ تجربةٍ إسلاميَّة في السُّلطة أو الإدارة أو المؤسَّسات الاجتماعيَّة هي الحرب... الغرب ليس بريئاً ولٰكنَّهُ لهٰذا الشأن ملحقٌ بالأنظمة العربيَّة وتابعٌ لها في ذٰلكَ.

هٰذه الحرب ليست جديدةً في حقيقة الأمر والواقع الواضح الذي يصعب بل يتعذَّر إنكاره، ارجعوا إلىٰ تجربة حماس في فلسطين(٢٤)، والجبهة الإسلاميَّة في الجزائر...

فتشوا عن العدوِّ الحقيقي ستجدون الأنظمة العربيَّة علىٰ رأسها.

الحقائق تتكشف اليوم بوضوحٍ لا مجال للشَّك فيه

كانت كلُّ هٰذه الحقائق قيد الاستقراء والاستنتاج من قبل الباحثين في العقود الماضية، ولٰكن اليوم صارت الأنظمة العربيَّة تلعب علىٰ المكشوف.

محاربة الإسلام من قبل الأنظمة العربيَّة تتمُّ اليوم علىٰ المكشوف.

والشَّعب العربيُّ صامتٌ بخشوعٍ وخنوعٍ.

---

(٢٤) . يمكن الرجوع إلىٰ مزيد من التفاصيل والمعطيات في كتابي: العرب أعداء أنفسهم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م، وفي كتابي: العرب جثَّة تنهشها الكلاب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

بل الأعجب من العجب أن نجد جماهير العرب من فوق ومن تحت تهلِّل للعدوانِ الغربيِّ علىٰ العرب وعلىٰ الإسلام: مثقَّفون، محللون سياسيون... وجماهير الشَّعب الهادر علىٰ أرض الواقع وعلىٰ صفحات التواصل الاجتماعي... يعلنون ابتهاجهم بهٰذه الضَّربات الموجَّهة إلىٰ سوريا والعراق...

ثالثاً: على مستوى الأنظمة الغربية

الغرب لا يريد أن تنجح التَّجربة الإسلاميَّة بأيِّ صورةٍ أيضاً، ولٰكنَّهُ سيكون أمام الأمر الواقع ويتعايش مع أيِّ إسلامٍ سياسيٍّ يكون في السُّلطة، خلاف الحكام العرب الذين لن يكون لهم وجودٌ إذا وَصَلَ الإسلام السِّياسي إلىٰ السلطة، وأقول سلفاً ليس لأنَّ الإسلام السياسي إقصائيٌّ كما يزعمون، بل لأنَّ مزاج الشَّارع العربي مزاجٌ إسلاميٌّ ولن يقف مع أيِّ سلطة في حال وجود إسلامٍ سياسيٍّ. ولقد أثبتت كلُّ التَّجارب التي وصل فيها الإسلام السِّياسيُّ إلىٰ السُّلطة أنَّهُ ليس استئثارياً ولا إقصائيًّا، ولٰكنَّهُ صُوِّر كذٰلكَ، وتَمَّت شيطنته تحت هٰذا الباب وما أمكن من أبواب الشَّيطنة لتسويغ محاربته وإقصائه عن السُّلطة.

الحقيقة أنَّهُ من غير الممكن المساواة بَيْنَ الموقف المعلن والموقف المخفي علىٰ مستوى الأنظمة الغربيَّة وحَتَّى الإسلاميَّة التي سنقف عندها بعد قليل. الموقف الباطن أو المخفيُّ يظلُّ في إطار التَّكهُّن والتَّوقع علىٰ ضوء مؤشِّرات وقرائن وتاريخ...

كان المعلن منها هو التَّرحيب بالوصول الديمقراطي لحزب إسلامي إلىٰ السُّلطَة. الأمر منطقيٌّ تماماً. ولٰكنَّ في حقيقة الأمر كان لدى الغرب رغبةٌ عارمةٌ وتوقٌ لمعرفة نتائج فوز حزب إسلامي بالسُّلطَة وما سيؤدي

إليه هٰذا النجاح من تقبل لدى الناس، من قدرة على قيادة الدولة... ومعرفة الوهم الذي ينتشر انتشار النار في الهشيم القائم على زعم أن الإسلاميين إذا وصلوا إلىٰ السُّلطَة فإنَّهُم سيقفلون وراءهم باب الديمقراطيَّة إلىٰ غير رجعة. جملة من التَّجارب أراد الغرب أن يخوضها في معرفة ماذا يعني فوز حزب إسلامي في السُّلطَة.

هنا في حقيقة ندرك سبب السماح بهٰذا الفوز وعدم الانقلاب السَّريع عليه كما كان يحدث فيما قد سلف في تركيا وفي الدول العربيَّة. نعلم أنَّهُ لم يُسمح أبداً باستمرار نجاح أيِّ حزبٍ إسلاميٍّ بالسُّلطَة إثر فوزه الديمقراطي في أيِّ دولةٍ عربيَّةٍ وحَتَّى في تركيا ذاتها سابقاً. ولٰكنَّ هٰذه المرة كان الأمر في غفلةٍ عن عين الرقباء كما ألمحنا سابقاً لأسباب وظروف تاريخيَّة متعددة من جهةٍ أولى، ومن جهة ثانيةٍ أراد الغرب للتجربة أن تستمر ليقوم بتجارب المعاينة الفعلية للفوز. كانت تركيا أفضل أرض لهٰذه التجربة لأسباب ثلاث هي:

أولاً: تركيا دولةٌ أوروبية، وهي الدولة الأوربية المسلمة الوحيدة. ولعَلَّ الغرب الأوروبي على نحو خاصٍّ فرح من نجاح حزب إسلامي في تركيا أكثر من الجميع للتخلص من أزمة وصداع انضمام تركيا إلىٰ الاتحاد الأوروبي. ولا أحد ينسى قول الرئيس الفرنسي **جاك شيراك**، إن تخني الذاكرة، عندما قال: إذا انضمت تركيا إلى الاتحاد الأوروبي فلا أستبعد السَّماح بانضمام ماليزيا إلىٰ الاتحاد الأوروبي.

ثانياً: هي دولة متجذرة العلمانية، بما يعني احتمالات ولادة عقبات غير منتهية أمام الحزب في السُّلطَة.

ثالثاً: العلمانيَّة محميَّة بالجيش دستوريًّا، بما يعني أنَّهُ في أيِّ لحظة يمكن للجيش أن يعيد الأمور إلىٰ نصابها إذا اقتضى الأمر.

وهٰذه الأسباب الثلاث غير متوافرةٍ في أي دولة إسلاميَّة أُخْرَىٰ في العالم. بما يعني ضمناً أنَّ الأمور تحت السَّيطرة ولا خوف أبداً من أيِّ تداعيات. ولذٰلك تحديداً، في ظنِّي، كان التَّراخي الغربي في التَّعامل مع فوز حزب العدالة والتَّنمِية ومع نجاحاته في المراحل الأولى. ولٰكنَّهُم لم يدركوا أنَّ هٰذا النَّجاح كرة ثلج تتدحرج. ومن كرة الثلج هٰذه لم يجد الأمريكان بدًّا من وضع يدهم بيد الانقلاب المصري ومن يقف وراءه حَتَّىٰ لا تتحول مصر إلىٰ كرة ثلج ثانية وتنفلت الأمور من السَّيطرة.

الفصل الخامس

تزايد تصاعد فوبيا الخلافة

كرة الثلج التي تدحرجت وراحت تكبر علىٰ
نحو مدهشٍ رُبَّما غير مسبوقٍ في تاريخ تركيا
الحديث، ورُبَّما في تاريخ الدول الإسلاميَّة الحديث
باستثناء الظَّاهرة الماليزيَّة...

لم تكن مدهشةً، كانت مثيرةً للإعجاب والتَّقدير ولٰكنَّهَا لم تكن غير متوقَّعةٍ، ولٰهذا السَّبب عينه كان الْمُحدِّد لانعكاسات نجاح حزب العدالة والتَّنمية في السُّلطة، وقد بدا ذٰلكَ في محورٍ أساسيٍّ وإن تعدَّدت مسارات تطبيقه.

لا نستبق القول إذا كثفنا هٰذا المحور هنا بالقول إنَّ انعكاسات هٰذا النَّجاح المبهر، بل حَتَّىٰ ولو كان نجاحاً عاديًّا، تركزت في عدم السَّماح بتكرار تجربة نجاح القوى الإسلاميَّة في السُّلطة. بل وعدم السَّماح لها بالوصول إلىٰ السُّلطة مرَّةً أُخْرَىٰ.

في هٰذا السِّياق لدينا تجربتين صريحتين علىٰ الأقل. الأولى إسقاط حكم الأخوان في مصر، والثَّانية محاولة إسقاط حكم العدالة والتنمية في تركيا. ولٰكنَّ الأمر ليس متوقِّفاً هنا بكلِّ تأكيدٍ، فبالتزامن معهما كان إجهاض التَّجربة التونسية أيضاً علىٰ سبيل المثال. ولٰهذا ما سنبينه من خلال النِّقاط التَّالية:

أولاً: تزايد صعود فوبيا الخلافة الإسلامية

لقد صار نجاح حزب العدالة والتَّنمية علىٰ مختلف الأصعدة وخاصَّةً الاقتصادي منها مضرب الأمثال في العالم الإسلامي والعربي علىٰ نحو خاصٍّ. مضرب الأمثال بمعنيين:

أولهما بما هو نجاح يستحقُّ الإشادة والتقدير لحزب حاكم مهما كانت طبيعته وخلفيتيه.

وثانيهما بما هو حزب ذو بعد إسلامي لا يلامس مشاعر المجتمع الإسلامي كما يقولون وإنَّمَا يعبِّر عن طموحات هٰذه المجتمعات الإسلاميَّة بأن تكون ممثلةً بأحزابٍ قادرةٍ علىٰ إثبات حضورها السِّياسي ودحض الادعاءات والشَّائعات التي يتم ترويجها عن عجز الإسلام أو الإسلاميين في قيادة الدَّولة قيادة ديمقراطيَّة.

الحقيقة أنَّ هٰذا النَّجاح لم يكن صدمةً ولا مفاجئاً لأنظمة الحكم في الدُّول الإسلاميَّة لأنَّهَا كانت متوقَّعةً ورُبَّما لا يُتوقَّع سواها، ولذٰلك كانت صاعقةً ووبالاً علىٰ هٰذه الأنظمة التي ما فتئت تحارب الأحزاب والحركات ذات الصبغة أو النَّزعة الإسلاميَّة بدعوى الإقصائيَّة، ودعوى العجز عن إدارة الدَّولة، ودعوى فصل الدين عن الدولة وغير ذٰلكَ من دعاوىٰ. علىٰ أنَّ من أطرف الذرائع في محاربة الأحزاب الإسلامية أن الأحزاب الإسلامية تسعى إلىٰ السلطة، وكأنَّ الأحزاب العلمانيَّة والقوميَّة والإلحاديَّة تسعىٰ بَيْنَ الصَّفا والمروى علىٰ حد تعبير الإعلامي الدكتور **فيصل القاسم**.

كانت هٰذه التَّجربة النَّاجحة صاعقةً ووبالاً علىٰ الأنظمة العربيَّة والإسلاميَّة وحَتَّىٰ العالميَّة لأنَّهُ أثبت بطلان ادعاءاتها بأنَّ الأحزاب الإسلاميَّة ديكتاتوريَّة، أو غير ديمقراطيَّة، أو إقصائيَّة... فالنَّجاح المدهش لحزب العدالة والتَّنمية هو الذي جعله يكرِّر فوزه بقوَّةٍ وليس إقصائيَّته ولا استبداديَّته التي ظلَّت الأنظمة العربيَّة والإسلاميَّة والعالميَّة تكرِّرها من خلال أبواقها علىٰ مدار عشرات السِّنين الماضية.

صَمَتَ العالم وصمتت الأنظمة العربيَّة والإسلاميَّة مرغمين علىٰ نجاح هٰذه التَّجربة، وتعاملوا معها بمداراة ومراعاة في الظاهر، فيما الباطن كان يضمر غير ذٰلكَ في أغلب الظَّنِّ. لا ندري حقيقة ماذا كان يدور في الكواليس من مخطِّطات وأفكار. ولٰكنَّ الظاهر كان يدل علىٰ تقبل غير مؤكِّدٍ، نقول تقبُّل غير مؤكَّدٍ لأنَّ الاتحاد الأوروبي فرح بألمٍ: فرح لأنَّهُ اعتقد أنَّ تركيا خرجت من المنظومة الأوروبيَّة وتراخت أو تناست تركيا فكرة الانضمام إلىٰ الاتحاد الأوروبي، وألم من نجاح التَّجربة الإسلاميَّة في السُّلطة، وهو الخوف الواخز للأوروبيين علىٰ مدار العقود السَّابقة. ودليلنا علىٰ جمع الفرح بالألم بهٰذا الفهم أنَّ أوروبا لم تتقدم خطوة نحو تركيا في موضوع الاتحاد الأوروبي. وهٰذا موضوع يحتاج إلىٰ وقفةٍ خاصَّةٍ علىٰ أيِّ حال.

ولٰكنَّ ما لم يكن بالحسبان أبداً هو الرَّبيع العربي الذي جاء بعيداً عن التَّوقعات الغربيَّة علىٰ الأقل. وقلب الموازين. وقفت أوروبا وأمريكا مع طلائع الربيع في تونس ومصر وربَّما ليبيا وقفة التَّجريب لا وقفة المناصرة الحقيقيَّة. وترقَّبت النَّتائج لتبني علىٰ أساسها استراتيجياتها. يمكن

القول إنَّها وقفت بصدق مع الربيع العربي في أوائله ولا بأس في ذَلكَ. ولٰكنَّ ما حدث بعد ذَلكَ يؤكِّد ندم الغرب علىٰ هٰذه الوقفة الداعمة إن كانت صادقة أو تجريبية خادعة. فقد كانت المؤشرات كلها في تلك البدايات توحي بتقدم الأحزاب والحركات والاتجاهات الإسلاميَّة. هنا ظهرت كوامن الغرب والأنظمة العربيَّة من انعكاسات نجاح حزب العدالة والتَّنمية في تركيا، وكان القرار الضِّمني القوي المتوافق عليه بَيْنَ الأنظمة العربيَّة علىٰ الأقل والأنظمة الغربية:

أولاً: لا يجوز أن يكون نجاح حزب العدالة والتنمية قدوةً للجماهير في العالم الإسلامي.

ثانياً: لا يجوز أن تعمم تجربة نجاح حكم الإسلاميين في البلدان الإسلاميَّة مهما كلف ذَلكَ من ثمن...

ثالثاً: لا يجوز السَّماح لأيِّ حزبٍ أو حركةٍ أو اتجاهٍ إسلاميٍّ أن ينجح في السُّلطة إذا استطاع الوصول إليها.

رابعاً: يجب أن تظلَّ الأحزاب الإسلاميَّة ملاحقةً محاربةً مدانةً بالشِّيطنة والاستفراد بالسُّلطة والإرهاب وما إلى ذَلكَ من تهم وتشويه وتشنيع.

«على الرَّغْمِ من أنَّ الخلافة ليست نظام الحكم الإسلامي الوحيد، ولا الواجب، ولا النافل... فهي هي نظام حكم من عشرات أنواع أنظمة الحكم التي لا تتعارض مع الإسلام ولا يعارضها الإسلام... إلا أنَّها تظل الصُّورة الرمزية لمجد الأمَّة ووحدتها في الذِّهنيَّة الإسلامية قاطبةً، وتظل مطمحاً يداعب أخيلة المسلمين دائماً لا بوصفه صورة من الماضي وإنما بوصفها مخرجاً للأمَّة من ضعفها وهوانها ومحنها وترديها وتدهورها

وتشرذمها وتتالي هزائمها المخزية على مدار أكثر من قرن... وأرجو أن لا نعجب من هٰذه سلسلة المخازي هٰذه فهي الحقيقة التي يعيشها العرب والمسلمون ويعانون شديد المضض؛ المادي والمعنوي»[٢٥].

إنَّ نجاح حزب العدالة والتَّنمية في تركيا هٰذا النَّجاح المبهر أحيا في قلوب الكثيرين فكرة الخلافة الإسلاميَّة، وأعاد إلىٰ الأذهان تركيا المسلمة إلىٰ الصَّف الإسلاميِّ بعد تغريبها في المسار الغربي عشرات السِّنين. ولقد أدرك الغرب هٰذه الحقيقة تماماً، الأمر الذي أعاد تصعيد فوبيا الخلافة الإسلاميَّة في العقليَّة السِّياسيَّة الغربيَّة. «الخلافةُ الإسلاميَّة هي البعبع الذي يخاف الغرب من انتشار فكرته بَيْنَ المسلمين أكثر مما يخاف من المسلمين... ولذلك استنفرت أمريكا كلَّ جهودها والعالم معها وأحداث الحادي عشر من أيلول للقضاء علىٰ الخلافة في أفغانستان علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهَا لا تهشُّ ولا تنشُّ... ولٰكنَّ فكرة أنَّ هناك خلافة إسلاميَّة قائمة يجلب الضَّجر والقلق والأرق والصُّداع والسَّرطان للغرب»[٢٦].

لم يستح الغرب أبداً من التَّصريح بأنَّهُ لا يمكن أن يسمح بإقامة دولة الخلافة الإسلاميَّة، بل إنَّهُ يريد أن يقضي علىٰ هٰذا الحلم في رؤوس المسلمين. عضو الكونجرس الأمريكي السيناتور **جوزيف ليبرمان** قال ذٰلكَ بوضح وصراحة لا لبس فيها في تصريح له لوول ستريت جورنال

---

٢٥ . الدكتور عزت السيد أحمد: **تفجيرات أيلول وصراع الحضارات؛ الولايات المتحدة صنعت الحدث لتصنع المستقبل**. دار إنانا. دمشق. ٢٠٠٣م. ص ٢٠٤.

٢٦ . الدكتور عزت السيد أحمد: **تفجيرات أيلول وصراع الحضارات**. ص ٢٠٥.

٢٠٠٩/٢/٦م[٢٧]: «نستطيع أن ندعم المعتدلين لجعل أفغانستان مقبرة للقاعدة تُدفن فيها أحلام الإمبراطوريَّة الإسلاميَّة»[٢٨].

لم تكد يهنأ الغرب بالقضاء علىٰ الخلافة الإسلاميَّة في أفغانستان حَتَّىٰ عاد ظلُّها يخيم علىٰ المسلمين في المجتمع الإسلامي من جديد بنجاحات حزب العدالة والتَّنمية في تركيا. لقد تعامل الغرب بهدوءٍ ودهاء مع ذَلكَ، ولٰكنَّهُ من المتعذر تصديق أنَّهُ لم يرتسم في مخيلاتهم عشرات المخطَّطات لوضع حدٍّ لهذه الظاهرة في تركيا ذاتها وفي أيِّ دولةٍ أُخْرَىٰ مسلمةٍ. وهٰذا ما سنكشف عنه فيما سيأتي.

أن يخاف الغرب من الخلافة الإسلاميَّة فهٰذا هو الأمر المنطقيُّ ويصعب بل يتعذَّر تخيُّل خلافه. ولٰكن أن تكون أنظمة الدُّول المسلمة هي التي تتوجس الهواجس من الخلافة ومن نجاح الأحزاب والحركات الإسلاميَّة وتصل مخاوفهم من ذَلكَ إلىٰ حدِّ الهستريا فهٰذا ما لا يمكن توقعه، ولٰكنَّهُ الحقيقة. بل لقد وصلت الوقاحة ببعضهم إلىٰ حدِّ التَّصريح بأنَّ مخاوفهم من صعود دولة الخلافة أو نجاح الإسلاميين هو أنَّ الإسلاميين يهدِّدون أمن إسرائيل؛ الطفل المدلل للغرب عامَّةً والولايات المتحدة خاصَّة. وأشدُّ من برز علىٰ لسانهم هٰذا التَّصريح الوقح هو مسؤولو النِّظام السوري، فمنذ

---

27. Gabriel Winant: Lieberman: **5 Surges for Afghanistan; Senator outlines plan to empower moderate Muslims**, win war. In Wall Street Journal. Posted Feb 6, 2009.

28. "we can empower moderates and make Afghanistan anal-Qaeda "graveyard" where "dreams of an Islamic empire are finally buried. Link: http://www.newser.com/story/50114/lieberman-5-surges-for-afghanistan.html.

نحو العام وعلىٰ شاشة التِّلفزيون السُّوري الرَّسمي قال أحد مفكِّري النِّظام أو منظريه «إنَّ الإسلاميين إذا هزموا نظام الأسد فإنَّهُم سيشكلون خطراً علىٰ إسرائيل، سيحرِّرن القدس»[٢٩]. وبعد ستة أشهر من ذَلكَ تقريباً جاء **وليد المعلم** ليحذر العالم من أنَّهُ إذا سقط نظام **بشار** فإنَّ الخلافة الإسلاميَّة ستعود[٣٠]!!!!

إذن نجاح حزب العدالة والتَّنمية لم يكن محض براعة في إدارة الدَّولة وتحقيق معدلات نموٍّ اقتصاديٍّ غير مسبوقةٍ، وتطور في العلاقات السياسية وفتح آفاق جديدة أمام الأتراك في التَّنمية والازدهار والتَّطور العلميِّ... فهٰذا علىٰ ما بدا ويبدو علىٰ الرَّغْمِ من كلِّ ما فيه من مظاهر حضاريَّة أمر غيرُ مسموحٍ به لأنَّهُ يفتح آفاقاً غيرَ مرغوبٍ فيها ولا مقبولةً عند الغرب ولا عند أنظمة الحكم في العالم الإسلاميِّ عامَّةً والعربيِّ خاصةً. ولذلك توافق الغرب مع أنظمة الحكم في العالم العربيِّ والإسلاميِّ علىٰ النِّقاط الأربع التي سلف الحديث فيها وهي: عدم جواز تمرير نجاح حزب العدالة والتَّنمية وعدم السَّماح بأن يكون قدوةً، وعدم جواز تعميم نجاح هٰذه التَّجربة أو تكرارها وربَّما عدم السَّماح بوصول أيِّ

---

٢٩ . مشهد هٰذا اللقاء منشور على اليوتيوب بعنوان: التليفزيون السورى يحذر من أن الإسلاميون سيحررون القدس . بتاريخ ٢٠١٣/١/١٣م. وهٰذا هو رابط اللقاء: .http://www.youtube.com/watch?v=zUnZh43ptPE

٣٠ . المقطع منشور على اليوتوب بعنوان: وليد المعلم يحذر من خطورة قيام دولة الخلافة الإسلامية في سوريا . بتاريخ ٢٠١٣/٦/٢٤م. وكذَلكَ بعنوان: وليد المعلم يحذر السعودية والأردن إذا سقط بشار ستعود الخلافة الإسلامية الى سوريا . بتاريخ ٢٠١٣/٩/٢م. وهٰذا رابط المشهد: .http://www.youtube.com/watch?v=_cc29II2VEA&feature=youtu.be

حـزبٍ أو حركـةٍ إسـلاميَّةٍ إلىٰ السُّـلطة، ورُبَّمـا أيضـاً العمـل علـىٰ إبقـاء الأحـزاب والحركـات الإسـلاميَّة قيـد الملاحقـة والمطـاردة والشَّـيطنة... ومـا إلى ذَلـكَ ممـا يحـدث في مصـر وسـوريا والعـراق بوضـوح وفي بقيَّـة الـدول بشـبه وضـوحٍ أو بسـريَّة. ولـذَلك تضـافرت كـلُّ هٰـذه القـوىٰ بوضـوح علـىٰ إسقاط حكم الأخوان في مصر.

الفصل السادس

الانقلاب على إخوان مصر

من قبل أن يتَّهمَ أحدٌ الفريق **عبد الفتاح السيسي** بالتَّخطيط مع قوى خارجيَّة للانقلاب علىٰ فوز الإخوان الشَّرعي أعلن في ثاني خطابٍ له فيما أذكر قائلاً: «لم نتلق تعليمات من أيِّ أحد، لم ننسق مع أيِّ أحد، لحماية بلدنا»، هٰذا الخطاب الذي تكرِّره محطَّات التَّلفزة الفضائيَّة كثيراً.

لا نريد القول إنَّهُ خطابٌ استباقيٌّ لوضع حدٍّ لما قد يتمُّ اكتشافه أو استنتاجه من وجود قوىٰ خارجيَّةٍ مخطِّطةٍ ومدبِّرةٍ وداعمةٍ للانقلاب، حسبنا أنَّ ثلاث دولٍ عربيَّةٍ في السَّاعات الأولىٰ من الانقلاب تبرَّعت له بنحو اثني عشر مليار دولار. لا أحد يجهل أنَّ هٰذه الدُّول هي السُّعوديَّة والإمارات والكويت. لقد أرادت هٰذه الدول أن تقول صراحة ومن دون خجل، وبالعلن المطلق: «نحن من يقف وراء الانقلاب... نحن من أسقط أوَّل شرعيَّةٍ ديمقراطيَّةٍ حرَّةٍ في مصر والعالم العربي». وحسبنا أنَّ زعماء دولٍ زاروا مصر وباركوا الانقلاب وكانوا مقاطعين لمصر منذ انتصار الثَّورة، ولا أحد يجهل أنَّ ملك الأردن **ومحمود عباس** علىٰ رأسهم وأسرعهم في ذٰلكَ... أي إنَّهم باركوا إسقاط حكم الأخوان، وفي الوقت ذاته إسقاط أوَّل شرعيَّةٍ ديمقراطيَّةٍ حرَّةٍ في العالم العربي المعاصر، وأيضاً جهاراً نهاراً وعلنا لا سرًّا مثل الثلاثي الخليجي.

حسناً سنسير مع **السيسي** على أساس أنَّهُ لم يتلقَّ تعليماتٍ من أيِّ أحدٍ، ولم ينسِّق مع أيِّ أحدٍ لإسقاط حكم الأخوان وإسقاط أوَّل شرعيَّةٍ ديمقراطيَّة حرَّة في مصر، أو لحماية مصر على حدِّ قوله، أي لحماية مصر ولٰكن من نجاح حكم الأخوان في السُّلطة، من وصول الإسلام إلىٰ السُّلطة(٣١).

يرى الكثيرون وهما أنَّ الانقلاب علىٰ حكم الإخوان، وإسقاط حكم الإخوان كان نتيجةً لإخفاقهم في السُّلطة، أو لكذبهم في وعودهم، أو لأنَّ **محمد مرسي** وَعَدَ بما سمي خطة المئة يوم ولم ينجح فيها، أو بسبب الإعلان الدستوري... كلُّ ذٰلكَ لا أساس له من الصِّحة، وما ذٰلكَ كله إلاَّ الأدوات الظَّاهرة للحقيقة المضمرة الجاهزة سابقاً قبل نجاح اللإخوان فيما لو نجح الإخوان في الوصول إلىٰ السُّلطة.

إنَّ الانقلاب علىٰ حكم الإخوان سابقٌ علىٰ فوزهم وليس لاحقاً عليه. هٰذا ما حدث بالضَّبط. والدَّليل علىٰ ذٰلكَ أنَّ الثَّورة المصريَّة خُطِفَتْ وهي في ذروة تصاعدها خوفاً من وصول الإسلام السِّياسي إلىٰ السُّلطة وصولاً ثوريًّا بشرعيَّةٍ ثوريَّةٍ تجعل من المتعذَّر أو الصَّعب علىٰ الأقلِّ التَّعامل معها إلا من خلال شرعيتها الثوريَّة.

---

(٣١) . هنا لا بد من إضافة حاشية مهمة وخطيرة يتجاهلها الجميع وهي أن الإسلام انتماء وليس أسماء، ليس أي واحد حمل اسم محمد أو أحمد أو عبد الله هو مسلم لأن اسمه اسم مسلم. هذا واهم يقع فيه الجميع. ويصح القول علىٰ المسيحية وعلىٰ اليهودية وعلىٰ العروبة وأي عرق آخر... ليس كل عيسى مسيحي، ولا كل يعقوب يهودي، ولا كل شان شو صيني... فقط عندما ندرك هٰذه الحقيقة إدراكاً صحيحاً نعرف معنى أنَّ (المسلمون اسماً) يحاربون الإسلام، لأنهم ببساطة غير مسلمين.

لن نتحدث عن زيارة رئيس المخابرات العسكريَّة اللواء **عبد الفتاح السيسي** إلىٰ أمريكا قبل تنحّي **مبارك** بنحو الأسبوع وعودته قبل التَّنحي بليلةٍ واحدةٍ. ولن نتكهن بما دار من محادثات فليس لدينا أيُّ دليل عليها. وسنفترض تسليماً أنَّهُ لا علاقة لهذه الزِّيارة بشيء مما حدث بعد ذٰلكَ، وأنَّ زيارته كانت استجماميَّة فقط. كلُّ ذٰلكَ لن يغيِّر في حقيقة ما حدث.

عندما أدرك نظام **حسني مبارك**، بارتباطاته التي لا يجهلها كثيرون، أنَّ الثَّورة آخذة في التَّصاعد، وأنَّ احتمالات انتصارها غير قليلة، سيَّما وأنَّ الربيع العربي في أوله ولم تُعرف بعد آفاق تطوُّره. كان القرار الآتي: تنحي **حسني مبارك**، بضمانات أو بغير ضمانات لا يعنينا ذٰلكَ. وبقاء النِّظام ببنتيه كاملةً لخطف الثَّورة والسَّيطرة علىٰ الوضع لدى أيِّ انحرافٍ عن المسار. استلم المجلس العسكريُّ السُّلطة بصلاحياتٍ تشريعيَّةٍ. مطمط المجلس بانتقال السُّلطة إلىٰ الثَّورة رويداً رويداً من أجل برود الرُّوح الثَّوريَّة، ضبط إيقاع المرحلة التَّالية بهدوءٍ وبرودٍ، من خلال مراقبة أيِّ تحوُّلٍ وانعاكاسته، ودراسة الإجراءات اللازمة قبل فوات الأوان.

هل كانت أمريكا وإسرائيل حاضرتان في هٰذا المخطَّط؟

لا نستطيع تأكيد ذٰلكَ ولٰكنَّ لا يستطيع أحد أن يدحضه. ولٰكنَّ بعض الدُّول العربيَّة كانت حاضرةً بقوَّةٍ في هٰذا المخطط، والدَّليل علىٰ ذٰلكَ، إذا لم يكن لدينا أيُّ دليل، هو طريقة حضورها في المشهد المصري بعد فوز الأخوان. ولٰكنَّ الحقيقة التي كشف عنها وزير الدفاع الأمريكي **روبرت چيتس** هي أنَّهُ «تلقى مكالماتٍ شخصيَّة من عدد من

زعمـــاء دولٍ خليجيَّـــةٍ، وضـــغوطهم المبكـــرة لمنـــع الإطاحـــة بنظـــام **مبـــارك**، والحيلولة دون وصول الإسلاميين للحكم»(٣٢).

هنا ينهض التَّصوُّر الذي أعلنا عنه غير مرَّةٍ من أنَّ مخاوف الأنظمة العربيَّة من وصول الإسلام إلىٰ السُّلطة رُبَّما تفوق مخاوف الغربيين. ولهٰذا **چيتس** يعلن ذٰلكَ بصيغةٍ من الصِّيغ. وتابع **چيتس** موضحاً أكثر، رُبَّما لتلميع صورة الولايات المتحدة وتبرئتها من معادة الإسلام وإظهار حقيقة أنَّ من ينفخ في نار محاربة الإسلام والإسلاميين هم القادة العرب، قال: «إنَّ حكَّام الدول الخليجية عبَّروا عن قلقهم من موقف واشنطن من الرئيس المخلوع **حسني مبارك**، وعدم دعمها له بما يكفي. وحذَّر مسؤولو الخليج من تحول مصر إلىٰ نسخةٍ سنيَّة من إيران إذا ما سقط نظام **حسني مبارك** ووصل الإخوان المسلمون لسدة الحكم»(٣٣).

من غير المتوقع أبداً أن لا تكون إسرائيل حاضرةً علىٰ الخطِّ السَّاخن من أجل الغرض ذاته، فقد أضاف **چيتس** في كتابه: الواجب، أنَّهُ «تواصلت رنَّات تليفونات البيت الأبيض من تل أبيب طالبةً من الرئيس الأمريكي التَّمهل والوقوف بجانب حاكم مصر». ويقول إنَّ **نتنياهو** قال لأحد مستشاري **أوباما**: «لا أعتقد أنَّ الرئيس **أوباما** يعرف ما ينتظره»، وأكَّد **نتنياهو لأوباما** «ضرورة الوقوف مع **مبارك** مهما حدث»(٣٤).

---

(٣٢) . مفكرة الإسلام: **تفاصيل الضغوط الخليجية لمنع سقوط نظام مبارك تخوفًا من الإسلاميين** . موقع مفكرة الإسلام . السبت ١٨ يناير ٢٠١٤م.

(٣٣) . المصدر السابق . ذاته.

(٣٤) . المصدر السابق . ذاته.

هٰـذا يعـني أنَّ أنظمـةً عربيَّـةً وإسـرائيل وأمريكـا كـانوا حاضـرين في مشـهد خطـف الثَّـورة المصـريَّة والانقضـاض عليهـا والـتربص المناسـب لأيِّ تـداعيات غـير مقبولـةٍ، وعلـىٰ رأس هٰـذه التَّـداعيات ورُبَّمـا وحـدها هـو فـوز الإسـلاميين بالسُّـلطة والإخـوان تحديـداً في مصـر كـونهم القـوَّة الإسـلامية الأبـرز. وأكـرر هنـا لـيس الخـوف مـن الإسـلاميين كـونهم عنصـريين أو فاشـيين أو إقصـائيين أو مـا إلىٰ هنـاك مـن اتهامـات وادعـاءات وإنَّمَـا خوفـاً من نجاحهم شبه المؤكَّد إن لم يكن مؤكَّداً.

علىٰ هٰذا الأساس كان الانسحاب الهادئ **لحسني مبارك**، وتمَّت ترتيبات الانتقال الامتصاصي للثورة. ولذٰلك لم يعد من المستغرب أن نجد أكثر المرشحين للرئاسة كانوا من رجال نظام **حسني مبارك**، بل كان بعضهم كبار القادة في نظامه:

. اللواء **عمر سليمان** نائب رئيس الجمهورية، رئيس المخابرات.

. الفريق **أحمد شفيق** رئيس الوزراء الأخير في نظام **مبارك** المتهم بالكثير من تهم الفساد.

. **عمرو موسى** وزير خارجية **حسني مبارك** سنوات كثيرة، وأمين الجامعة العربية.

إنَّ وجود هؤلاء وحدهم بَيْنَ المرشحين يعطي مؤشِّراً خطيراً علىٰ مأساة الثَّورة المصريَّة وحَتَّىٰ بلاهتها؛ أيُّ ثورة هٰذه وهؤلاء هم مرشحو الرئاسة بعد انتصار الثَّورة؟ هٰذا السُّؤال سيبقى مهما بلغ هَؤلاء من الأمانة والنزاهة. والذي يزيد الأمور تعقيداً هو فوز **أحمد شفيق** مناصفةً مع **محمد مرسي** في الدَّور الأول، الأمر الذي استدعى إعادة الانتخابات في جولةٍ ثانيةٍ يفوز فيها **محمد**

مرسي بفارق ضئيل عن **أحمد شفيق** بل بفارقٍ شبه مهمل إحصائيًّا حَتَّىٰ يمكن القول إنَّ فوز **محمد مرسي** كان مصادفةً أو قدراً إلٰهيًّا!!! هل يصدق أحد أن هٰذه نتيجة أول انتخابات بعد الثورة علىٰ هٰذا الرجل تحديداً ونظامه؟ أمر يفوق الخيال.

الأمر أمر المصريين كما سيقول الكثيرون وخاصَّة منهم المصريون. هٰذا صحيح، ولٰكنَّ المنطق هو الذي يأبى تقبل هٰذا التَّناقض الصَّارخ وليس الانتماء ولا الدين.

علىٰ أيِّ حالٍ، هنا صار من السَّهل أن نفهم السَّبب الذي اقتيد الإخوان المسلمون به إلىٰ التَّصريح بعدم التَّرشح للرئاسة إذا فازوا بالبرلمان. لا أطيل في ذٰلكَ ولٰكن لا بُدَّ من توضيحٍ في هٰذه المسألة. عندما أثارت بعض الأطراف التي لا أتَّهمها بشيءٍ إلا بأَنَّهَا لا علاقة لها بالديمقراطيَّة[٣٥]، مسألة التَّخوف من فوز الإخوان بالبرلمان والرئاسة... هنا قدَّم الإخوان بادرة حسن نيَّةٍ بأَنَّهُم لن يترشَّحوا للرئاسة إذا فازوا في البرلمان إتاحة لمشاركة الجميع في السُّلطة. ولٰكن كان ذٰلكَ علىٰ أساس أن لا يترشح رموز النِّظام السَّابق للرئاسة. هٰذه النُّقطة التي تجاهلها جميع المنتقدين. ولٰكن عندما ترشَّح أبرز رموز النِّظام السَّابق للرئاسة قدَّموا مرشحهم.

الخيوط كلها كانت محبوكةً بدقَّةٍ بالغةٍ في نظري. والذين يظنون أنَّ إدارة **أوباما** كانت مُحْرَجَةً أو لا تعرف ماذا تفعل في وقوفها مع الثَّورة مخطئون. لقد ذكر **روبرت چيتس** في كتابه أنَّ «**أوباما** لم يرغب في إهانة حليفٍ رئيسٍ

(٣٥). أي ديمقراطية هذه التي تشترط على الحزب أن لا يترشح هنا إذا نجح هنا؟

وتاريخيٍّ للولايات المتحدة؛ لما في هٰذه الخطوة من رسالةٍ سلبيةٍ لحلفاء واشنطن»[٣٦]، وعنى بذٰلكَ **حسني مبارك**. وهو لم يقصر في حمايته وضمان سلامته من خلال الإجراءات التي سبق الكلام فيها. وفوق ذٰلكَ فإنَّ الولايات المتحدة والغرب لا يمانع من الاطلاع الحقيقي علىٰ رأي المجتمع العربي والإسلامي وموقفه من خلال تجربة ديمقراطيَّة حرَّة فعلاً، ولذٰلك كان سحب رأس النِّظام المصري وترك الأمر للتجربة مع المحافظة علىٰ الإمساك بالخيوط.

نجح حزب الحرية والعدالة في الانتخابات البرلمانيَّة والانتخابات الرئاسيَّة. ولٰكنَّ مفاصل السُّلطة كلها كانت بيد نظام **حسني مبارك**. ذهب **حسني مبارك** وبقي كلُّ شيءٍ كما هو. ولذٰلك لم ينجح أبداً **محمد مرسي** في إدارة شؤون الدولة، لأنَّهُ لم يكن يتحكم بشيء أبداً من أمور الدولة. لقد أعلن أحد ضيوف الاتجاه المعاكس في منتصف عام ٢٠١٣م تقريباً أنَّ **محمد مرسي** لم يكن يتحكَّم بأكثر من حرسه الشَّخصي. وصرَّح وزير الداخليَّة في حكومته وحكومة **السيسي** بعد الانقلاب بنحو ثلاثة أشهر أنَّهُ رفض أوامر **محمد مرسي** بتأمين الحماية للمحافظين. ولا نعد ولا نحصي لأنَّهُ بالكاد يمكن أن تجد مؤسَّسة أو إدارةً متعاونةً مع رئاسة **محمد مرسي**، الأمر الذي جعل جماعة الأخوان تسعى بأيديها وأرجلها في المدن والقرى والمحافظات لإنجاح السُّلطة... لقد كان واضحاً بعد أقلِّ من شهرين أنَّ هناك مساع مخطَّطة مبرمجة لإسقاط حكم **محمد مرسي** تتصاعد رويداً رويداً...

(**٣٦**) . مفكرة الإسلام: **تفاصيل الضغوط الخليجية لمنع سقوط نظام مبارك تخوفًا من الإسلاميين** . موقع مفكرة الإسلام . السبت ١٨ يناير ٢٠١٤م.

لا نريد أن نطيل في التَّعليق والتوضيح، ولٰكن لا يمكن إلا القول إنَّهُ لا يمكن في أيِّ بلدٍ من العالم يحاسب الحزب الحاكم أو الرئيس علىٰ وعوده الانتخابيَّة بعد شهرين أو ربع سنة أو نصف سنة من فوزه بالانتخابات؟! النِّظام المصري الذي خطف الثَّورة قبل أن تنتصر وحافظ علىٰ كينونته وتمترس بها حَتَّىٰ ينقلب علىٰ الإخوان إذا فازوا بالسُّلطة بدأ حربه بعد أقل من شهرين علىٰ استلام السُّلطة؛ بدأت الحرب بذريعة عدم النجاح في خطِّة المئة يوم الأولى التي وعد بها **مرسي** إذا فاز في الانتخابات رئيساً لمصر. «تعهد **مرسي** فيها بحلِّ خمس مشاكل يوميَّة في حياة المواطن المصري وهي إعادة الأمن والاستقرار، ضبط المرور، توفير الوقود، تحسين رغيف العيش، وحل مشكلة القمامة وتكوين مؤسَّسة الرئاسة من نواب ومساعدين ومستشارين علىٰ أن تشمل القوى الوطنيَّة كافةً... وزيادة معاش الضمان الاجتماعي ومضاعفة المستفيدين... وتخفيف أعباء الأسرة المصريَّة في نفقات التَّعليم وتطوير التَّعليم والبحث العلمي وتحسين أوضاع المعلمين وأستاذة المعاهد والجامعات... وتعهد بعدم المساس بحريَّة الإعلام وأنَّهُ لن يقصف قلماً أو يمنع رأياً أو تغلق قناة أو صحيفة في عهده مع مراعاة القانون وميثاق شرف المهنة فيما بَيْنَ الإعلاميين...»[٣٧].

كانت كلُّ مؤسَّسات الدَّولة تقف عائقاً أمام النَّجاح في أيِّ بندٍ من بنود الخطَّة، ناهيكم عن أنَّها تحتاج فترة رئاسيَّة كاملةً في أقلِّ تقدير. ثُمَّ جاءت أزمة الإعلان الدستوري التي أقامت الدنيا ولم تقعدها. الإعلان الدستوري صدر من رئيس منتخبٍ وفق الدستور، وضمن الحق الدستوري له، ومع ذٰلكَ قامت الدنيا

(٣٧) . مصطفى الرماح: **خطة الـ١٠٠ يوم للدكتور محمد مرسي عقب توليه الرئاسة** . ضمن صحيفة صدى البلد . الأحد ٢٠١٢/٦/٢٤م.

ولم تقعد بسببه، في حين أنَّ قائد انقلاب ورئيساً انتقاليًّا يصدر إعلانات دستوريَّة تخترق الدساتير والديمقراطيَّة تهلل لها وسائل إعلام النِّظام المصري نفسه التي كانت تهاجم الرَّئيس المنتخب علىٰ إعلان دستوري هو من صلاحياته وليس فيه تجاوزاص علىٰ الديمقراطيَّة ولا الحريَّة!!!

وعندما تراجع عن الإعلان الدستوري افتعلت أزمة القضاء؛ القضاء الذي برَّأ الرَّئيس المصري المخلوع **حسني مبارك** ورموز نظامه ويحاكم الرئيس **مرسي** بتهمة التَّخابر مع حماس!!!! التَّواصل الحميم **لمبارك** مع إسرائيل وطنيَّةٌ وتواصل **مرسي** مع حماس خيانةٌ للوطن!! هل هناك أعجب من ذَلكَ؟ وفي ظلِّ ذَلكَ كلِّه كان افتعال أزمة سيناء الأنفاق... وأخيراً كان الانقلاب باسم تلبية مطالب الجماهير. وكان اعتقال كل أعلام الأخوان وأنصار الأخوان وإغلاق كل المحطات التلفزيونية التي يمكن أن تتعاطف مع الأخوان في السَّاعة الأولى من الانقلاب... ثُمَّ حملة شيطنة الأخوان إلىٰ حدِّ عدهم شعباً آخر، بل وصل الأمر ببعضهم إلىٰ عدهم أجانب!!

كلُّ ذَلكَ كان وفق مخطَّطٍ مدروسٍ مبرمجٍ، ليس أبداً تطوراً طبيعيًّا للأحداث. تسلسل الأحداث وطبيعتها من دون أيِّ أدلَّةٍ أو قرائن أُخْرَىٰ يوحي بذَلكَ بل يؤكِّده. وما ذكرناه ليس إلاَّ مقتضى السِّياق لأنَّ الحقائق التي تستحقَّ الذِّكر كثيرةٌ جدًّا، وتستغرق الكثير من الجهد، يمكن تتبعها في أكثر من مكان ومن أكثر من مصدر، حسبنا الاستقراء المنطقي للأخبار التي تتداولها كلُّ وسائل الإعلام لا وسيلة متحيزة للإخوان أو ضدَّ حكم العسكر. ولذلك لا عجب أبداً أن يعلن أمين الجامعة العربيَّة **نبيل العربي** في مطالع عام ٢٠١٤م بكلِّ صراحةٍ ووضوحٍ لا يفترق عن الوقاحة قائلاً: «إنَّ حركة ثلاثين يونيو ضربت في الصَّميم

المشروع الإسلامي»[٣٨]. وكي يغطِّي محاربة الإسلام والمشروع الإسلامي بورقة التَّوت أضاف: «المشروع الإسلامي الذي تقوده تركيا»، وكأنَّ تركيا تقود مشروعاً إسلاميًّا شيوعيًّا إلحاديًّا، وكأنَّهُ يوحي بأنَّهُ لو كان مشروعاً إسلاميًّا بقيادةٍ غير تركيَّةٍ لبقي الإخوان في السُّلطة، علىٰ سبيل المثال ولٰكن المثال التهكمي.

الولايات المتحدة يمنع دستورها وقوانينها دعم أو الوقوف مع الانقلابات العسكريَّة، والإدارة الأمريكيَّة لم تستطع تغيير الدُّستور والقوانين ولٰكنَّهَا غيَّرت وصف الانقلاب إلىٰ ثورة. وفيما تروي الأسطورة يا سادة فقد عانت الإدارة الأمريكيَّة كثيراً لتجاوز هٰذه المعضلة، ولٰكنَّهَا تجاوزتها. تجاوزتها لأنَّهَا شريكٌ في المخطَّط بطريقةٍ أو بأُخْرَىٰ؛ مخطَّط عدم السَّماح بنجاح الحركات والأحزاب الإسلاميَّة في السُّلطة، بل عدم وصولهم إلىٰ السُّلطة أساساً لما لذٰلك من مخاطر كثيرةٍ انجلى بعضها من خلال نجاح حزب العدالة والتَّنمية التركي في قيادة الدَّولة التركيَّة علىٰ مختلف الأصعدة.

(٣٨) . جاء هٰذا الكلام في لقاء تلفزيوني منشور على اليوتيوب نشرات كثيرة عنوانها الأغلب: نبيل العربي يعترف ٣٠ يونيو ضرب المشروع الإسلامي بالصميم، أول نشر في ٢٠١٤/١/٤م

الفصل السابع

محاولة إسقاط العدالة والتنمية

نجحت الأنظمة العربيَّة أو بعضها علىٰ الأقلِّ بالتَّعاون مع أمريكا وإسرائيل في إجهاض مشروع نجاح حزبٍ إسلاميٍّ في السُّلطة هو حزب الأخوان المسلمين. ما حدث في مصر هو أمران معاً:

أولهما الحيلولة استمرار حزبٍ إسلاميٍّ في السُّلطة.

ثانيهما هو عدم إعطائه الفرصة للنَّجاح تحت أيِّ ظرفٍ من الظُّروف حَتَّىٰ لا يكون نجاحه حجَّة علىٰ من أسقطه، ولا حجَّة أمام المجتمع الإسلامي ليكون أنموذجاً ثانياً في نجاح الإسلامي السِّياسي في السُّلطة.

بقي الأنموذج التُّركي الذي ما زال أنموذجاً صارخاً في نجاح حزبٍ إسلاميٍّ في السُّلطة. أظنُّ أنَّهُ في ظلِّ العمل علىٰ إسقاط حكم الأخوان في مصر كان التَّخطيط جارياً علىٰ قدم وساق لإسقاط حكم العدالة والتَّنميَة في تركيا. ولا شكَّ في أنَّ مثل هٰذا التَّخطيط كان سابقاً على ذٰلكَ بكثيرٍ، بدأ علىٰ الأقل منذ تصاعد شعبيَّة العدالة والتَّنميَة في الشَّارع الإسلامي من خلال نجاحاته في السَّنوات الأولى من الحكم، وخاصَّةً في أزمة مجزرة سفينة مرمرة علىٰ أيدي جنود الاحتلال الصهيوني والموقف المشرف علىٰ مدار الأزمة من قبل الحكومة التُّركيَّة.

في ٢٨ مايو ٢٠١٣م بدأت حملة احتجاجات سُمِّيت أحداث منتزه تقسيم. أساسها أنَّها احتجاج علىٰ عزم الحكومة إزالة أشجار في

ميدان تقسيم وإعادة إنشاء ثكنة عسكريَّة عثمانيَّة هُدمت عام ١٩٤٠م. لا اعتراضَ علىٰ الاحتجاجات من جهة المبدأ، ولا اعتراضَ علىٰ السَّبب الذي له فهٰذا حقٌّ أيضاً. ولٰكنَّ المفترض أنَّ منطقة الاحتجاجات هي التي تشهد الاحتجاجات. حسناً سنفترض أنَّ أشجار المنتزه مثل أطفال درعا وتعاطف معها المتظاهرون من أهالي إسطنبول، وأنقرة، وإزمير، وموغلا، وأنطاليا... أمرٌ غريبٌ. سنقبل به جدلاً. ولٰكنْ سرعان ما اتَّسع نطاق الاحتجاجات ليشمل الاعتراض علىٰ سياسات الحكومة مع انضمام مدنٍ أُخْرَىٰ للتَّظاهر. هنا يبرز السُّؤال بالضَّرورة. كانت الصَّحافة العالمية كلها تشيد بنجاحات سياسة الحكومة المدهشة علىٰ مختلف الأصعدة والمستويات وارتفاع مستوى دخل الفرد غير المسبوق ولا المتوقع!! الاحتجاج يكون علىٰ الإخفاق لا علىٰ النَّجاح. ظاهرة غير مسبوقة بكلِّ تأكيد. فحَتَّىٰ أحداث تقسيم كانت النَّجاحات متتالية ولم تتوقف. فما الذي حدث؟

موالو **بشار الأسد** عدوا ذٰلكَ احتجاجاً من الشَّعب علىٰ موقف **أردوغان** من النِّظام السَّوري. تفسيرٌ ساذجٌ، وإن كان لا يستحقُّ الذكر في سياق بحث إلا أنَّهُ من الضَّروري التَّذكير به، بل من الضَّروري التَّذكير بتصريح وزير الإعلام السَّوري الذي لا يمكن أن يسبقه بالطَّرافة والغرابة المدهشة موقف أو تصريح رُبَّما عبر التاريخ، فقد قال: «إنَّ **رجب طيب أردوغان** يقود بلاده بأسلوبٍ إرهابيٍّ. وأضاف: إنَّ مطالب الشَّعب التُّركي لا تستحقُّ (كلَّ هٰذا العنف) وأنَّهُ علىٰ **أردوغان** التَّنحي إن كان عاجزًا عن اتباع وسائل غير

عنيفة»[٣٩]. أن يصدر هٰذا الكلام عن أي شخص في الدنيا غير أيِّ سوري تابعٍ للنِّظام فهو أمرٌ يصعب قبوله أو استساغته، أمَّا أن يصدر عن مسؤول في النِّظام السُّوري فهٰذا ما يلفق الرأس الحليم الصبور.

أمَّا التَّعليقات الدوليَّة فقد تفاوتت بَيْنَ النُّصح والوعظ وبَيْنَ الإدانة الخفيفة أو حَتَّىٰ القويَّة ولٰكنَّ ليس بقوة إدانة وزير إعلام النِّظام السَّوري بحالٍ من الأحوال.

هل كانت هٰذه الأحداث موجهة من الخارج؟

لا أدري، ولا أجزم، ولا أدعي، وليس لدي وثائق ولا أدلة علىٰ هٰذا الكلام. قد يكون مصادفةً توافق الاحتجاجات مع نوايا دولية محدَّدة لإسقاط التَّجربة التُّركية. وقد يكون مصادفةً قرار الحكومة بإزالة الأشجار في المنتزه مع احتقان بعض الفئات الاجتماعيَّة، قلَّت أو كثرت، من الحزب أو الحكومة وكان ذٰلكَ القرار فرصة للتَّنفيس عن هٰذا الاحتقان.

لنتفق مع ما يقوله **أحمد يوسف** من أنَّ «ما يعكسه الشَّارع التُّركي من مظاهرات يمكننا وصفه بأنَّهُ تفريغ شحنات الكبت المتدفق لدى المعارضة التُّركية علىٰ الأخص (اليسارية) منها والتي تكنُّ العداء لحزب العدالة والتَّنميَة، ليست فقط كونها معارضة لإجراءات حكومةٍ صاحبةِ نجاحٍ أو إخفاقٍ بل معارضة أيدلوجيَّة علىٰ خلفيَّة الحزب الإسلامية المعروفة»[٤٠]. بل دعونا نتجاهل أيضاً الخلفيَّة الإسلاميَّة للحزب الحاكم. ولٰكنَّ الذي لا يمكن تجاهله ولا تجاوزه هو أنَّ هٰذه الأحداث كانت بداية تأزُّم وضع الحكومة أو الحزب الحاكم في السُّلطة،

(**٣٩**). تصريح تداولته مختلف وسائل الإعلام. راجع الوكالة السَّورية للأنباء. ٢٠١٣/٦/١م.

(**٤٠**). أحمد يوسف: **أحداث تقسيم بين التهويل والواقع** – موقع رصد. ٢٠١٣/٦/٩م.

وبداية مسلسل التَّضييق عليه من قبل أطرافٍ متعدِّدة، وتدحرج العقبات أمامه والعراقيل... وصولاً إلىٰ شيطنته علىٰ طريقة شيطنة الإخوان المسلمين في مصر، آخرها تعليقاً علىٰ تفجير مركز أمن القاهرة يوم الجمعة ٢٠١٤/١/٢٤م قال نائب وزير الداخليَّة المصريَّة: «إنَّ تركيا ضالعة بهٰذا التَّفجير»(٤١).

ولذٰلك لا يمكن إلا أن نرى في أحداث تقسيم بداية المسلسل. وكانت الحلقة الثانية الأكثر ظهوراً في كانون الثاني/ ديسمبر ٢٠١٣م بحملة اتهامات بالفساد لمسؤولين كبار بينهم أبناء وزراء، ورجال أعمال وشخصيات بارزة في حزب العدالة والتَّنميَة(٤٢). ومن المؤكَّد أنَّ هٰذه الأزمة التي تعرَّض لها الحزب كما يقول الدكتور **جرابعة**(٤٣) «تكاد تكون الأعنف منذ بدأ الحزب بالهيمنة علىٰ المشهد السِّياسي في عام ٢٠٠٢م»(٤٤).

يرى الكثيرون ومنهم الدكتور **جرابعة** أنَّهُ كان يمكن لهٰذه الأزمة أن تمر بخير ولا تحدث جدالاً واسعاً «لولا الصراع الذي اندلع علىٰ أثرها بَيْنَ حزب العدالة والتَّنميَة وأنصاره من جهةٍ، وجماعة **فتح الله چولن** من جهةٍ أُخْرَىٰ، إذ ينتمي الطرفان إلىٰ حركات الإسلام السِّياسي التُّركي»(٤٥).

---

(٤١) . ذكر ذٰلكَ عمر عبد الهادي الناطق باسم جبهة الضمير على قناة الجزيرة في حصاد اليوم . الجمعة ٢٠١٤/١/٢٤م.

(٤٢) . لا يتبنى كاتب البحث أي دفاع أو هجوم على المتهمين بالفساد. الفاسد فاسد مهما كان انتماؤه أو ولاؤه، والبريء بريء مهما كان انتماؤه وولاؤه.

(٤٣) . باحث في مركز إرلنچن لدراسة الإسلام والقانون في أوروبا.

(٤٤) . الدكتور محمود جرابعة: **أي مستقبل ينتظر حزب العدالة والتَّنميَة التُّركي؟** . ضمن جريدة الاقتصادية . الرياض . العدد ٧٤١٢ . الأحد ١٤٣٥/٣/٢٤هـ الموافق لـ ٢٠١٤/١/٢٦م.

(٤٥) . المرجع السابق . ذاته.

لا يمكن أن ننكر أن لهٰذا الخلاف أو الصِّراع تأثيرٌ في ذٰلكَ. ولٰكن سيكون ذٰلكَ صحيحاً لو لم نكن أمام سلسلة من العقبات والعراقيل التي يصعب تصديق المصادفة التَّوافقيَّة فيها. ولا يمكن أن ننكر أنَّ أحداث تقسيم لها أثرٌ في انخفاض السِّياحة وتراجع الليرة أو تراجع البورصة... ولٰكن لا يمكن أن نتخيل ضخامة الأثر لو ضخامة الضَّخ الإعلامي. لا نريد أن نهمل الآثار المنطقيَّة لمثل هٰذه الأحداث فلها مفاعليها بكلِّ تأكيد. ولٰكن مرَّةً أُخْرَىٰ: أي مصادفة هي تتالي سلسلة الأحداث والتغيرات المؤدية إلىٰ انهيار شعبية الحزب قبيل الاستحقاقات الانتخابيَّة الثلاث بنحو سنة؟ وبعد سلسلة نجاحات مدهشة علىٰ مدار أكثر من عشر سنوات؟

لقد تنوعت مظاهر الأزمة وميادينها ولم تقف عند ميدان واحدٍ، «فبعد انخفاض سوق الأسهم التُّركية بما يقارب الـ٢٠% من قيمتها، وانخفاض القيمة السوقيَّة للشَّركات التُّركية المدرجة بـ٤٩ مليار دولار في اليوم الأخير من العام الماضي، يبدو أنَّ المؤشِّرات الأوليَّة بدأت تنضج لهروب رؤوس الأموال من تركيا. ولهٰذا إنَّ حصل سيتبعه بداية تباطؤ حادٍّ في النمو التُّركي ما قد يكلف الحكم التُّركي الحالي سلطته»(٤٦). ويجب أن لا ننسى هنا أبداً أنَّ الاقتصاد التُّركي «مثله مثل كل الدول الناشئة يبقى مرتبطاً كثيراً بالاستثمارات الأجنبيَّة، وقد تأثَّر

(٤٦) . جو حمّورة: **إذا صمد أردوغان؛ ماذا عن الاقتصاد التُّركي؟** . الاقتصادية الإلكترونية . الاثنين ٢٠١٤/١/٩م.

كثيراً بسياسة التقييد النَّقدي التي تفرضها الولايات المتحدة منذ منتصف العام الماضي»[٤٧].

إنَّ أعمدة العجلة الاقتصاديَّة متشابكةٌ مع بعضها ومع كل ميادين الدول. ولذلك كان من الطَّبيعي أن تمتد هٰذه التَّراجعات لتطال الكيان الاقتصادي كلَّه، «فتراجعت قيمة الليرة التُّركية من ٢,٠٤ إلى ٢,١٨ مقابل الدولار خلال نصف شهر، كما تراجعت بورصة إسطنبول بأكبر نسبة لها منذ آب ٢٠١٢م. كذٰلكَ أدَّت فضيحة الفساد لإفقاد تركيا السمعة الطيبة التي كانت تتمتع بها في موضوع استقرار الأسواق والإدارة الجيدة للاقتصاد منذ ١٠ سنوات حَتَّىٰ الأمس القريب»[٤٨]. «وساهمت الأزمة السِّياسية في زيادة المخاوف من الثغرات التي تعاني منها البلاد مثل ارتفاع العجز العام إلىٰ أكثر من ٧ في المئة والتضخم إلىٰ ٦,٢ في المائة عام ٢٠١٢، و٧,٤ في المئة عام ٢٠١٣م»[٤٩].

الحقيقة التي يجب أن ندركها جيِّداً أنَّ المسألة ليست مسألة أزمة عارضة أو طارئة. إنَّ المجتمع الدولي والأنظمة العربيَّة والإسلاميَّة لا تقبل بمحض وصول الأحزاب الإسلامية إلىٰ السُّلطة فكيف يمكن أن تسمح بوجود حزبٍ إسلاميٍّ

---

(٤٧) . مراسل الشرق الأوسط باستطنبول: **تراجع سعر الليرة التُّركية يعزز المخاوف من أزمة مشابهة لأزمة ٢٠٠١م** . ضمن صحيفة الشرق الأوسط . لندن . العدد ١٢٨٤٤ . الاثنين ٢٦ ربيع الاول ١٤٣٥ هـ الموافق لـ ٢٧ يناير ٢٠١٤م.

(٤٨) . جو حمّورة: **إذا صمد أردوغان؛ ماذا عن الاقتصاد التُّركي؟** . الاقتصادية الإلكترونية . الاثنين ٢٠١٤/١/٩م.

(٤٩) . مراسل الشرق الأوسط باستطنبول: **تراجع سعر الليرة التُّركية يعزز المخاوف من أزمة مشابهة لأزمة ٢٠٠١م** . ضمن صحيفة الشرق الأوسط . لندن . العدد ١٢٨٤٤ . الاثنين ٢٦ ربيع الاول ١٤٣٥ هـ الموافق لـ ٢٧ يناير ٢٠١٤م.

ناجحٍ في السُّلطة يكون نبراساً للشعوب الإسلاميَّة؟؟ ولذلك لا عجب إذا وجدنا من يكتب إنَّ «أكثر من ١٥ خطاب متلفزٍ في أسبوعٍ واحدٍ، لم تنفع **رجب طيب أردوغان** حَتَّىٰ الآن في تهدئة الجمهور التُّركي أو أسواق تركيا المالية»(٥٠).

المشهد الحاصل في تركيا، أو المرجو والمخطط له، لا يختلف عن أيِّ مشهدٍ في العالم الإسلامي في جوهره.

الخطوة الأولى والأساسية شق الصف، «فإنَّ انقسام النُّخبة أو خسارة تحالفات مهمة وفعالة قد يؤثر بصورة مباشرة في أداء الحركات الاجتماعية وقدرتها علىٰ التَّفاعل مع التغيرات السِّياسية»(٥١).

الخطوة الثانية اختيار الوقت المناسب لتفجير المشكلات والأزمات «فتوقيت الكشف عن قضايا الفساد وتصدع العلاقة بَيْنَ حزب العدالة والتَّنميَة . جاء . بالتزامن مع اقتراب موعد ثلاثة استحقاقات انتخابيَّة تبدأ في آذار/ مارس هذا العام...»(٥٢).

الخطوة الثالثة الوقت المناسب كان إذن قبيل الاستحقاقات الانتخابية المتتالية حَتَّىٰ لا يكون أمام الحزب ما يكفي من الوقت للتَّرقيع والتَّصحيح، وحَتَّىٰ تظل الصُّورة السَّلبيَّة، إن كانت صحيحةً أو خاطئةً مفبركةً، في ذهنيَّة النَّاخب

---

(٥٠) . جو حمّورة: **إذا صمد أردوغان؛ ماذا عن الاقتصاد التُّركي؟** . الاقتصادية الإلكترونية . الاثنين ٢٠١٤/١/٩م.

(٥١) . الدكتور محمود جرابعة: **أي مستقبل ينتظر حزب العدالة والتَّنميَة التُّركي؟** . ضمن جريدة الاقتصادية . الرياض . العدد ٧٤١٢ . الأحد ١٤٣٥/٣/٢٤هـ الموافق لـ ٢٠١٤/١/٢٦م.

(٥٢) . المرجع السابق.

التُّركي، الأمر الذي يعني احتماليَّة كبرى لإخفاق الحزب في الفوز في الاستحقاقات الانتخابيَّة. ولهٰذا ما «دفع عدداً من المتابعين للشَّأن التُّركي إلىٰ توقع انتهاء هيمنة حزب العدالة والتَّنميَة، وخاصَّةً زعيمه **رجب الطيب أردوغان** علىٰ المشهد السِّياسي التُّركي، وربَّمَا إعادة رسم المشهد السِّياسي التُّركي بكامله»(٥٣).

الخطوة الرابعة تهيئة الظُّروف المناسبة لإحياء دور العسكر ضمن مباركة شعبيَّة وصمت دولي، ولهٰذا ما لم يستبعده بعض أو كثير من المحللين والمخططين، ورُبَّما كانت التَّجربة المصريَّة نبراساً يقتدي به من يفكر في مثله ذٰلكَ أو يخطِّط له.

كانت دول عربية محدد هي الأكثر حرصاً وسعياً لإحراج حزب العدالة والتَّنمية ووضعه في مشكلات تؤدي إلىٰ خروجه من السُّلطة أو إسقاطه بالقوَّة. ولٰكنَّ الغرب لم يكن بمنأى عن هٰذه المساعي وإن لم يظهر في مراحل سابقة بوضوح لأسباب كثيرة رُبَّما الظُّروف لم تكن لتسمح بذٰلكَ، ورُبَّما كان التَّخطيط لم يكتمل، ولٰكنَّ التفكير قائم بالتأكيد.

مع ظهور دولة الخلافة الإسلاميَّة والحرب عليها وجدت أمريكا ضالتها في توريط تركيا كلاًّ وحزب العدالة والتَّنمية ضمناً، فتدخلها في حرب لا نهاية لها، وكان ما كان من مسلسل الإغراء والترغيب والترهيب والاستفزاز والأخذ والجذب والدَّفع والشَّد في التَّعامل مع تركيا قيادة تركيا للحرب علىٰ الدولة الإسلامية لا محض الاشتراك في التَّحالف. ولٰكنَّهَا لم تقبل أن تشترك في المعركة البريَّة علىٰ

(٥٣). المرجع السابق.

الأقلّ لأنَّ ذلكَ ليس في مصلحتها، ولذلك اشترطت علىٰ التَّحالف إسقاط نظام بشار الأسد ولٰكنَّ أمريكا رفضت ذلكَ رفضاً مطلقاً... فوصلت الأمور إلىٰ حالة الاستقطاب وبدا أنَّ الأمور لا تسير في الطَّريق المرضي لأمريكا والغرب.

هنا كان لا بُدَّ من تدخُّل الفيلسوف **برنار هنري ليڤي** دينامو استراتيجيا السِّياسة الغربيَّة تجاه المنطقة العربيَّة والإسْلاميَّة تحديداً. كتب مقالاً بعنوان: النِّداء الأخير من أجل كوباني، عرفت به البشرية قبل أن ينشر(٥٤).

وجه **ليڤي** في هٰذا النِّداء تهديداً صريحاً وتاريخيًّا لتركيا بطردها من حلف شمال الأطلسي؛ الناتو قائلاً بالنَّص والحرف: «إذا تركت تركيا مدينه (عين العرب) كوباني السَّوريَّه تسقط في أيدي داعش، فإنَّهُ سيتعيَّن طرح مسأله انتمائها إلىٰ الحلف الأطلسي الناتو». وردًّا علىٰ سؤال لوكالة فرانس برس قال **هنري ليڤي** «إنَّ موقع تركيا في الحلف الأطلسي سيصبح مريباً إذا تركت كوباني تسقط... يجب قول ذلكَ في السَّاعات المقبله للسُّلطات التُّركيَّة».

عجباً، كلُّ العمليات التي قادها الناتو قادتها أمريكا بجنودها لماذا هٰذه العمليَّة تحديداً يجب أن يكون الجيش التُّركي هو بطلها؟ ألا يوجد في التَّحالف إلا تركيا حَتَّى تحمل عبء هٰذه المعركة؟!

تابع **هنري ليڤي** استفزازه وتهديده قائلاً: «ولٰكنَّ تركيا لا تتحرك. وتتعلل بمماحكاتٍ قانونيَّة، هي تنتظر سقوط المدينه. وإذا سقطت كوباني، ستكون الحكومه التُّركيَّه مسؤولة عن ذلكَ مباشرة».

لماذا تكون تركيا هي المسؤولة عن سقوط عين العرب؟

---

(٥٤) . نشر هٰذا المقال الاثنين ٢٠١٤/١٠/١٣م بالتَّزامن معاً صحيفه ليبراسيون الفرنسية وسبع صحف أوروبيَّه وأمريكيَّه، في ظاهرة تكاد تكون غير مسبوقةٍ.

لقد مهَّد وزير الدفاع الأمريكي لذلك منذ ثلاثة أسابيع تقريباً عندما اتهم تركيا بأنَّهَا هي من يدعم الدَّولة الإسْلاميَّة، وعلىٰ رغم اعتذاره لاحقاً عند الحاجة إلىٰ توسل تركيا القيام بدور في المعركة، إلا أن هٰذا الاتهام بقي ورقة علىٰ الطاولة.

وتابع **هنري ليڤي** في تصوير خطر الدَّولة الإسْلاميَّة: «لا يمكن أن نقول إنَّ داعش تشكِّل تهديداً عالميًّا ونتساهل حيال إضعاف التَّحالف العسكري الذي يشكل أساس الرَّدِّ علىٰ داعش، عند أكثر النِّقاط حرجاً بفعل عدم مسؤوليَّه أردوچان الرئيس التُّركي»... وتابع: «أطلب من حلفاء تركيا داخل حلف شمال الأطلسي وضع **أردوغان** أمام مسؤولياته».

ولم يكتف **هنري ليڤي** بتهديد تركيا بمستقبلها في حلف الأطلسي بل هدَّد وجودها الأوروبي أيضاً، قال: «كوباني تشكل اختباراً لتركيا ولمستقبلها الأوروبي وانتمائها للحلف الأطلسي». بل شدَّد بالتصعيد في ذٰلكَ فقال: «لا أتخيَّل أنَّهَا يمكن أن تبقى داخل الحلف الأطلسي إذا تركت كوباني تسقط».

كوباني جزءٌ من سوريا وليست جزءاً من إسرائيل يا **ليڤي جدعون** فلماذا هٰذا الحرص عليها دون غيرها من مدن سوريا المئات التي تعرضت لما تعرضت وتتعرض له كوباني؟ وإذا تركنا النِّظام جانباً لأسباب تقنيَّة نتساءل لماذا لم يهتزَّ الضَّمير العالمي ذاته هٰذا الاهتزاز الزلزالي الهائج لدى دخول الدَّولة الإسْلاميَّة ذاتها إلىٰ المدن السَّورية الأُخْرَىٰ؟

لا أريد الإطالة في تحليل خطاب **ليڤي** وأبعاده وأبعاد استفزاز تركيا لخوض المعركة البرية ضد الدولة الإسلاميَّة فقد ناقشت ذٰلكَ مطولاً في كتابي الحرب علىٰ الدولة الإسلاميَّة، ولٰكن أقف فقط عند المسألة التي تعنينا هنا وهي جرُّ تركيا إلىٰ

التورط في هٰذه الحرب التي يعلم الجميع أنَّها لا نهاية لها، وأنَّها ستفتح أبواباً من الفتن والتعقيد والمشكلات لا طائل لها. تقود تركيا والعدالة والتنمية معاً إلىٰ هاوية سحيقة وتقبر الإسلام السياسي في تركيا إلىٰ الأبد.

هٰذه المحاولة لم تنجح ولا أحسبها ستنجح، ولذٰلك يجب توقع محاولات أُخْرَىٰ من أنواع أُخْرَىٰ وتوريطات من أنواع أُخْرَىٰ غالباً ما سيكون الأكراد هم الورطة القادمة من أجل إسقاط الإسلام السِّياسي في تركيا وإعادة تركيا إلىٰ مربع العلمانيَّة الأحاديَّة الجانب مثل الأنظمة العربيَّة والقضاء علىٰ الممارسة الديمقراطية التي يمكن أن تعيد أيَّ حزبٍ إسلاميٍّ إلىٰ السُّلطة كما حدث علىٰ مدار سبعين سنة سبقت وصول العدالة والتَّنمية إلىٰ السُّلطة.

هٰذا تصوُّرٌ نظريٌّ لمؤامرة. رُبَّما لا تكون هناك مؤامرة. ولٰكن إذا كانت كلُّ المؤشِّرات تقول إنَّ هناك مؤامرة فلماذا ننكر المؤامرة؟ هٰذا من جهة أولىٰ، ومن جهةٍ ثانيةٍ ترتبط المؤامرة في ذهنيتنا بالنَّذالة. حسناً، ولم لا؟ هي نذالة صاحب المصلحة. إنَّ المتضررين من نجاح الإسلاميين في السُّلطة يخططون لتحقيق مصالحهم، بإمكانكم أن تسموا ذٰلكَ مؤامرة وبإمكانكم أن تسموها ضمان أو تحقيق مصالح. سمُّوا ذٰلكَ ما شئتم، المهم الفعل علىٰ الأرض. لقد أشار **رجب طيب أردوغان** غير مرَّةٍ إلى وجود أيدٍ لأطراف خارجيَّة فيما يحدث في تركيا. وفي أواسط كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤م ثارت فضيحة ضلوع الإمارات العربيَّة المتحدة في بعض الأحداث التُّركية المعرقلة للنَّشاط الاقتصادي. حسناً سنقول مع القائلين إنَّ السِّياسيين يلقون اللوم علىٰ الخارج لدى أي أزمة يواجهونها مع شعوبهم. فهل ينفي ذٰلكَ وجود مؤامرةٍ علىٰ وصول الإسلام السِّياسي إلىٰ السُّلطة؟

لا نريد أن نستطرد في تأكيد حقيقة وجود المؤامرة فهي عصية علىٰ الدحض. ولٰكن ثَمَّة من يستنكر القبول وهٰذا شأن لا يخص القائل به لأنه يبني عليه معطيات قد تكون مدمرة. وثَمَّة من يرفض الاستسلام لذٰلك وهٰذا واجب. وثَمَّة من يرى أنَّهُ طالما أن المؤامرة موجودة ونحن ضعفاء فمن الأحسن الاستسلام، وهٰذا ما لا ينبغي أن يكون.

إن النَّظر إلى ما يحدث في تركيا لإجهاض التَّجربة النَّاجحة لحزب إسلامي في السُّلطة بعيداً عن المؤامرة يضيع الكثير من فرص فهم حقيقة ما يحدث وفرص فهم كيفية مواجهته. وفي الوقت ذاته فإنَّ القول بأنَّ المؤامرة فقط هي وراء ما يحدث يقود الحزب والسُّلطة إلىٰ ارتكاب حماقات وأخطاء سيكون من الصعب علاجها بدءاً ثمَّ قد يتعذر علاجها. وعلىٰ هٰذا تنبني مسؤوليَّات كبيرة وكثيرة علىٰ عاتق الحركات والأحزاب السِّياسيَّة. فالتجربة والممارسة الفعلية هي التي تؤكِّد بما لا يقبل الشكَّ أنَّهُ لا يوجد من يسمح بوصول أحزاب إسلاميَّة إلىٰ السُّلطة طالما استطاع إلىٰ ذٰلكَ سبيلاً، وإن وصل حزب إلىٰ السُّلطة يجب إسقاطه، والحزب الذي يخرج من السُّلطة لا يجوز السَّماح بعودته إليها... في حين أنَّهم يروجون في وسائل الإعلام كلها أنَّ الإسلاميين إذا وصلوا إلىٰ السُّلطة سيكسرون سلم الديمقراطية وراءهم.

الفَصْلُ الثَّامِن

الحرب على الإسلام ليست جديدة

ينبغي أن لا نظنَّ أنَّ الحرب علىٰ الإخوان وعلىٰ العدالة والتَّنمية طفرةً من طفرات الزَّمان، ولا أنَّهَا كانت بسبب نجاح حزب العدالة والتَّنمية في السُّلطة. الحقيقة التي يدركها المتابعون جيِّداً أنَّ الحرب علىٰ الأحزاب الإسلاميَّة قديمةٌ وقديمةٌ جدًّا.

إنَّ شيطنة الإخوان المسلمين منذ وصول **عبد الناصر** إلىٰ السُّلطة علىٰ أكتاف الإخوان المسلمين لم تكن في نظري محض مصادفةٍ، ولا صراعاً علىٰ السُّلطة، وإنَّمَا هي حرب الإقصاء التي بدأت في العالم الإسلامي ضدَّ الأحزاب الإسلاميَّة. أوَّل شيطنةٍ للأحزاب الإسلاميَّة في العالم بدأت مع **جمال عبد الناصر**، ومع **عبد الناصر** تحديداً، وليس من السِّياسة الغربيَّة التي لا يزعجها ذَلكَ أبداً. فالإخوان المسلمون موجودون قبل **عبد الناصر** بثلث قرنٍ تقريباً ولم تتم شيطنتهم ولا شيطنة الأحزاب الإسلاميَّة، ولم يظهر بعبع فوز الإسلاميين بالسُّلطة، ولم يتحدث عنه أحدٌ بطريقة الشيطنة من العالم الغربي ولا في العالم الإسلامي. ولذَلكَ قلنا إنَّ معاداة الأحزاب الإسلاميَّة والتَّخوف من وصول الإسلاميين إلىٰ السُّلطة هو ممارسة الأنظمة في العالم الإسلامي أكثر مما هي ممارسة الأنظمة الغربيَّة. ولٰكنَّ الأنظمة الغربيَّة وجدت ذَلكَ في ذَلكَ خير مطيَّةٍ تركبها وتدعم أنظمة العالم الإسلامي وتضخ لهم في المعلومات التي تساعدهم في

حربهم ضدَّ وصول الإسلاميين إلىٰ السُّلطة. وليس هٰذا فحسب بل تقوم باصطناع حركات وهيئات وأحزاب وشخصيَّات علىٰ درجةٍ من التَّطرف كافية لتسويغ محاربة الإسلاميين.

علىٰ هامش البحث نلمح إلىٰ توافق تاريخيٍّ عجيبٍ يحدث اليوم، **عبد الفتاح السيسي** الذي يعدُّ نفسه ويعدُّه الموالون له وريث **عبد الناصر** يعيد سيرة **عبد الناصر** ذاتها في شيطنة الإخوان بالطريقة ذاتها. وليس هٰذا فحسب بل إنَّهُ في حين كان **عدنان مندريس** بأمسِّ الحاجة لمؤازرة بطل القوميَّة العربيَّة **جمال عبد النَّاصر** في أزمته مع الجيش مدَّ **عبد الناصر** يده إلىٰ اليونان وآزرها ضدَّ **مندريس** في أزمة قبرص. واليوم يعيد **السيسي** الكَرَّة ذاتها في التَّنازل لليونان عن الحقوق البحرية في المياه المصرية، ويشنُّ حربه علىٰ **رجب طيب أردوغان**.

علىٰ أيِّ حالٍ إذن، الحرب علىٰ الإسلام السِّياسي ليست وليدة نجاح حزب العدالة والتَّنمية، ولا نتيجة طموح الإخوان إلىٰ السُّلطة... وإنَّما هي قديمة. بل إنَّ بعضهم لا يرىٰ هٰذه الحرب حرباً علىٰ هٰذه الأحزاب وإنَّما يراها حرباً علىٰ الإسلام ذاته بذريعة هٰذه الأحزاب والحركات. وهٰذا ما يحيلنا إلىٰ موضوع آخر ليس ما كتب فيه قليلاً، ولٰكنَّهُ ليس كافياً علىٰ أيِّ حال.

إذا عدنا إلىٰ **نجم الدين أربكان** وجدنا في سيرته وحدها ما يؤكِّد هٰذه الحقيقة. فبعد أن استجمع ذاته وقواه واقتربت الاستحقاقات الانتخابية عام ١٩٧٧م استنفر العالم كله خوفاً من فوزه في الانتخابات.

فقبل شهر تقريباً من التَّحضير للانتخابات التَّشريعيَّة التُّركيَّة أبدت صحيفة لوس أنجلوس تايمز مخاوفها من احتمال فوز حزب السَّلامة الوطني بزعامة **أربكان**، قالت: «إنَّ احتمال نجاح **أربكان** في الانتخابات القريبة في تركيا يحدث قشعريرة وارتباكاً في الأوساط السِّياسيَّة التُّركيَّة، وفي كواليس السفارات الغربية في تركيا، لأنَّ **أربكان** يريد تحويل اتجاه تركيا عن الغرب والعودة بها من جديد إلىٰ تراثها الإسلامي والشَّرقي»(٥٥).

وفي الفترة ذاتها كتبت صحيفة الإيكونومست البريطانية: «إذا قدِّر لحزب السَّلامة الوطني أن يفوز في الانتخابات القريبة في تركيا فإنَّ الشَّيء المثير للقلق في الغرب هو أنَّهُ ما تزال إلىٰ الآن فئاتٌ كبيرةٌ من الشَّعب التركي لم تستطع هضم الإصلاحات التي جاء بها **أتاتورك**»(٥٦).

ولم يترك الفرنسيون الأمر من دون تعليقٍ، فقد كتبت صحيفة لوفيجارو الفرنسيَّة «إنَّ تركيا تقف علىٰ مفترق طرقٍ، وينظر المراقبون الغربيون بقلقٍ بالغٍ وبتشاؤم إلىٰ مستقبل تركيا، إذ تشير التَّطوُّرات فيها إلىٰ بروز نزعةٍ قوميَّةٍ يقودها حزب السَّلامة الوطني وزعيمه **أربكان** لاسترجاع تركيا لأمجاد الإمبراطورية العثمانيَّة واستعادة أمجاد الإسلام»(٥٧).

هٰذه عينة من المخاوف والانطباعات من تجربة انتخابيَّة واحدة. وفي هٰذا ما يؤكِّد إن لم يكن تأكيداً قاطعاً فتأكيداً مرجحاً باحتماليَّةٍ كبيرةٍ أنَّ أزمات

---

(٥٥) . جريدة القبس . الكويت . عدد ٢٠/٤/١٩٧٧م.

(٥٦) . جريدة القبس . الكويت . عدد ٢٠/٤/١٩٧٧م.

(٥٧) . جريدة القبس . الكويت . عدد ٢٠/٤/١٩٧٧م.

حزب العدالة والتَّنمية اليوم، والإخوان في مصر ليست وليدة مصادفةٍ، ولا حَتَّىٰ أخطاء ارتكبها هٰذا الحزب أو ذاك في قيادة الدَّولة فغيرها في البلدان ذاتها أو أشباهها يرتكب أخطاء أكبر بألف مرَّةٍ ولا يحدث مثل ذٰلكَ.

هٰذا يعيدنا إلىٰ تجربة الجزائر عام ١٩٩١م. هٰذا التَّجربة الفريدة. ففي عام ١٩٨٨م اضطر الرئيس **الشاذلي بن جديد** إثر المظاهرات العارمة التي اجتاحت الجزائر إلىٰ إجراء تعديلات دستوريَّة تسمح بالتَّعدديَّة الحزبيَّة. وكان أن تمَّ تشكيل حزبين إسلاميين إثر ذٰلكَ اندمجا معاً بجبهة الانقاذ بقيادة **عباس مدني وعلي بلحاج**. دخلت الجبهة الانتخابات البلدية عام ١٩٩١ ففازت بنسبة ٧٠%. وفي العام ذاته فازت في الانتخابات النيابيَّة بنسبة ٨٢%. ولم يكن أمام النِّظام الحاكم أيُّ مخرجٍ لإلغاء الانتخابات إلا استقالة رئيس الجمهوريَّة، فاستقال رئيس الجمهورية ليتم إلغاء الانتخابات. وهٰذا ما لم يحدث ولا يحدث في العالم الثالث أبداً... أن يستقيل رئيس الجمهورية لمنع الإسلاميين من الوصول إلىٰ البرلمان لا إلىٰ السُّلطة في بلدٍ محكومٍ بالعسكر. وفوراً استقال الرَّئيس وحل البرلمان وألغيت الانتخابات وقام الجيش وبيوم واحدٍ باعتقال ٢٥ ألف مدني جزائري. ولم يكتفوا بذٰلكَ بل قاموا بتفجيرات إرهابيَّة وألصقوا التُّهمة بجبهة الإنقاذ، ثمَّ أعلنوا الحرب عليها.

هل أمريكا التي تآمرت هنا؟ أم هل هي إسرائيل؟ هو النِّظام العربيُّ المسلم ذاته. نعم بعد ذٰلكَ باركت فرنسا وأمريكا والغرب الحرب الأهلية التي أعلنتها السُّلطة الجزائريَّة علىٰ الشَّعب والإسلاميين وراح ضحيتها أكثر من مئتي ألف إنسان، ودمار هائل في الجزائر ناف عن ستة مليارات دولار...

بعد ذَلكَ بسنوات غير بعيدة «فازت حركة حماس في الانتخابات التَّشريعيَّة الفلسطينيَّة التي جرت في نيسان ٢٠٠٦م، إذ فازت بـ٧٦ مقعداً مقابل ٤٣ مقعداً لحركة فتح التي كانت تتولىٰ السُّلطة الفلسطينيَّة والمجلس التَّشريعي شبه منفردة منذ اتفاقيَّة أوسلو عام ١٩٩٣م. وإلىٰ جانب إشرافها ورعايتها وسلطتها جرت الانتخابات برعايةٍ دوليةٍ ومراقبةٍ دوليةٍ، وقد أشاد الجميع بالديمقراطيَّة، فقال الرئيس الأمريكي **جورج بوش الابن**(٥٨): «إنَّ الانتخابات تظهر ما تفعله الديمقراطيَّة، وأنَّ هٰذا شيءٌ إيجابيٌّ بالنِّسبة لمنطقة الشَّرق الأوسط». إلا أنَّ **بوش الابن** علىٰ الرَّغْمِ من ذَلكَ «دعا رئيس السُّلطة الفلسطينية **محمود عباس** للبقاء في السُّلطة»، وهٰذا ذاته اعتداء صريحٌ علىٰ الديمقراطيَّة(٥٩).

كان من شبه الممتنع إعادة كرة الطريقة الجزائرية لأنَّ الملعب هنا فلسطين. وكانت من الصُّعوبة بمكان الانقلاب علىٰ الانتخابات لأنَّ كلَّ سياسيي العالم أشادوا بالديمقراطيَّة التي فازت بها حماس. ولٰكنَّهُم في الوقت ذاته طالبوها بما لا يطالب به حزب فائز في الانتخابات في العالم وهو حكومة الوحدة الوطنيَّة. وهنا بدأ مشروع الفتنة، فالحكام لعرب صمتوا. «باستثناء السُّلطة الفلسطينيَّة التي وقفت في البداية موقف الولايات المتحدة والغرب، كما فعل **أحمد قريع** رئيس الحكومة الفلسطينيَّة الذي أشاد بالديمقراطيَّة التي أوصلت حماس... ولٰكنَّهُ سرعان ما رفض نتائج الانتخابات علىٰ الفور وأعلن شبه انقلابٍ عليها في أول

(٥٨) . جاء هذا الكلام في مؤتمر صحافي خاص بالانتخابات في البيت الأبيض يوم الخميس ٢٠٠٦/٤/٢٧م.

(٥٩) . الدكتور عزت السيد أحمد: **بشرية عمياء عوجاء** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م . ص ٤٣ .

تعليق للسُّلطة الفلسطينيَّة إذ أكَّد أنَّ حركة فتح، التي خسرت الانتخابات لن تشارك في الحكومة وأنها تختار المعارضة»[٦٠].

لم يكن هٰذا الموقف من فتح تطبيقاً للديمقراطيَّة، ولا إعطاء حماس فرصتها في إدارة السُّلطة أبداً، وإنما كانت تنفيذاً لمخطط إسقاط حماس. وكان بطريقة غير مسبوقةٍ. «شكَّلت حماس الحكومة منفردةً وبدأت فتح والسُّلطة الأمنيَّة التي تسيطر عليها فتح بمحاربة حكومة حماس فلم تسلمها السُّلطة ولم تتح لها أيَّ صلاحيَّة وعرقلت كلَّ قراراتها، وباشرت حماس مسؤولياتها وليس في خزائن الدَّولة درهمٌ واحدٌ علىٰ الإطلاق، سُرقت كلُّ الأموال وتركت حماس وحدها لتتصرف، والأدهى من ذٰلكَ وأخطر أنَّهُ عندما تصرَّفت حماس وجلبت الأموال من التَّبرعات منعتها مصر من إدخالها، فراح مسؤولو حماس يخرجون إلىٰ خارج فلسطين ليحملوها بأيديهم وعندما يدخلون بها إلىٰ فلسطين تقوم الأجهزة الأمنية لفتح بمصادرتها... وبعد ذٰلكَ كلِّه راحوا يقولون إنَّ حماس عاجزةٌ عن قيادة الدولة وتأمين الرواتب للموظفين، وتأمين المواد الغذائيَّة والأدوية والماء والكهرباء... في حين أنَّ كل ما يجلبه الحماسيون تمنع مصر والأردن إدخاله، وما يستطيعون إدخاله تصادره السُّلطة الفلسطينيَّة التي خسرت الانتخابات ولم تترك السُّلطة!!!»[٦١].

لم يستطيعوا بأيِّ وسيلةٍ من الوسائل دفع حماس إلىٰ إعلان إخفاقها وعجزها عن إدارة السُّلطة فكان الانقلاب التَّلقيدي الذي لم يعد له بديل. وكان الانقسام، ثُمَّ التَّخطيط العربي الرَّسمي من بعض الأنظمة العربيَّة **ومحمود عباس**

(٦٠) . المرجع السابق. ص ٤٤.

(٦١) . المرجع السابق. ص ٤٤ . ٤٥.

بالتَّنسيق مع إسرائيل لمحزرة غزة ٢٠٠٨/٢٠٠٩م من أجل التَّخلص من وجود حزب أو حركة إسلاميَّة في السُّلطة.

وإذا كان نجاحُ أيِّ حزبٍ إسلاميٍّ أو حزب ذي توجُّهٍ إسلاميٍّ في العالم العربي أمراً محرَّماً تحريماً قطعيًّا، ولا يجوز أبداً تكرار نجاح تجربة حزب العدالة والتَّنمية التركي مهما كلف ذَلكَ من ثمن. أقول إذا كان نجاح مثل هٰذا الحزب في العالم العرب محرماً تحريماً قطعيًّا فإنَّهُ لن يُسمح به في العالم الإسلامي بحالٍ من الأحوال رُبَّما بما لا يقل عن العالم العربي كونه الحامل الرمزي والتاريخي والمرجعي للإسلام.

والسُّؤال الذي يخطر في البال عفو الخاطر: ماذا لو فاز حزبٌ إسلاميٌّ في دولةٍ ذات أكثريَّةٍ غير مسلمةٍ، أو لنلطِّف الجو قليلاً ولنقل: ماذا لو فازت أقليَّةٌ إسلاميَّةٌ بالسُّلطة ديمقراطيًّا في دولة ذات أكثرية غير إسلاميَّة؟

أظنُّ أنَّ الجنون بكلِّ فنونه سيخبط عقول ساسة الغرب علىٰ الأقل. ونحن أمام تجربة طريفة من هٰذا النَّوع رُبَّما قلما تتكرر، فقد نجح المسلمون السيليكا في جمهورية إفريقيا الوسطى في الوصول للسلطة وقاموا بإسقاط **فرنسوا بوزيزي** الذي وصل أصلاً إلى الحكم عام ٢٠٠٣م بانقلاب. وقام المسلمون السيليكا بتعيين **ميشيل** لتشكيل حكومة ائتلافية بَيْنَ المسيحيين والمسلمين.

ثارت ثائرة الغرب ثورة بركانيَّة، وتصدَّرت فرنسا المشهد والتَّصرف، لأنَّهُ من غير المعقول ولا المقبول أن يحكم الإسلام في بلاد الإسلام، فكيف يمكن السَّماح أن تحكم أقليَّة مسلمةٌ أغلبيَّة مسيحيَّة؟

استصدرت فرنسا علىٰ الفور قراراً دوليًّا من مجلس الأمن في يومٍ واحدٍ بالتَّدخُّل العسكري، بيوم واحدٍ صَدَرَ القرار، بأسرع مما تتأهب لتعطس وتعطس.

وعلىٰ الفور تدخلت فرنسا وبدأت بنزع أسلحة السيليكا، ثمَّ قامت بتسليح عصابات *anti balaka* وحرضت الأغلبيَّة المسيحيَّة علىٰ الثأر من المسلمين... وعندما تدهورت الأوضاع قامت بعزل الرئيس **ميشل جوتديا** ممثل الوحدة الوطنية فيما يفترض، كونه من كلفه المسلمون بتشكيل حكومة الوحدة الوطنية. وبعد عزله عينت علىٰ الفور الرئيسة **سامبا بانزا** التي بدأت فور استلامها السلطة بعملية تطهير عرقيَّة ضدَّ المسلمين من العاصمة بانچي... عملية تطهيرٍ استئصاليَّةٍ بدموية صارت معتادة في العدوان علىٰ المسلمين كما حدث ويحدث في بورما وغيرها...

هٰذه السُّلوكات ضدَّ الإسلام والمسلمين وإن كانوا يزعمون أنَّها ضد المتطرفين الإسلاميين وليست ضد الإسلام... تثير الكثير من التداعيات لا أريد الإطناب فيها ولا الاسترسال فقد وقفت عندها في مواضع كثير من كتبي ومقالاتي، وخصصت كتابين لها هم العالم في مواجهة الإسلام، والحرب علىٰ الدولة الإسلاميَّة.

ولٰكنَّ لا بُدَّ من إلماحات عابرة يمكن لمن أراد الاستزادة فيها الرجوع إلىٰ كتابيِّ آنفي الذكر.

الإرهاب ضدَّ المسلمين هو سلوكٌ حضاريٌّ

مساعدة المسلمين بأيِّ شيءٍ هو سلوك إرهابيٌّ

لا حظوا مثلاً: أكثر من سبعمئة شاب فرنسيٍّ أعمارهم ما بَيْنَ ١٦و١٨ سنة يلتحقون للقتال مع الجيش الصِّهيوني وارتكاب مجازر في غزة. ومقاتلون كثيرون يقاتلوا مع حزب العمال الكردستاني ضد الدولة الإسلامية وضد السوريين، وعشرات آلاف المقاتلين يقاتلون الشعب السوري مع النِّظام:

لا أحد في العالم انشغل باله بهم!!!

ولا أحد في العالم سأل عنهم أو سألهم لماذا!!

ولا أحد في العالم خاف عليهم، ولا خاف من إرهابهم.

ولا أحد في العالم خاف من عودتهم إلىٰ بلادهم بعد انتهاء الحرب!!!

بينما مثلهم من الفرنسيين جاء إلىٰ سوريا دعماً للثَّورة فضاج العالم كلُّه، ضاجت أروقة السِّياسة والإعلام ومراكز الأبحاث وانعقدت الندوات والمؤتمرات وحلقات الأبحاث... لبحث هٰذه الظَّاهرة وتداعياتها ومخاطرها ومراشحها ومشاحرها، وكيف سيعودون إلىٰ بلادهم، وماذا سيفعلون عندما يعودون، ماذا لن يفعلوا عندما يعودون، أو لا يعودون...

وماذا يمكن أن نقول عن تأييد غالبية الأمريكيين للمجزرة الإسرائيليَّة في غزة؟

هل يمكن أن نسمِّي ذٰلكَ رحمة أم إنسانيَّة مثلاً؟

لماذا لا يقولون: إنَّ هٰذا تطرف؟

لماذا لا يدرسون هٰذه الظَّاهرة علىٰ أنَّها شاذَّةٌ أو خاطئةٌ ما زالوا يحاسبون العرب والمسلمين كلهم لغلطة واحدٍ أو عددٍ قليلٍ من الأشخاص، ورُبَّما يكون عالم المخابرات الغربيَّة هو الذي سخرهم واستخدمهم؟؟

تلك المظاهر التي تؤكِّد ما يسمَّى الازدواجيَّة العمياء الرَّعناء. كلُّ ما يقود إلىٰ قتل المسلم أو يقتله فعلاً فهو بطولةٌ وإنجازٌ حضاريٌّ. وكل ما يفعله المسلم حَتَّىٰ ولو كان حضارياً فهو إرهاب. الإسلام هو الإرهاب والمسلم هو الإرهابيُّ.

ألماني اعتنق الإسلام، رأى ظاهرة شيطنة الإسلام والمسلمين، اسمه صلاح الدين بيافوجن، وقد سأله أحد ما في سجالٍ عن العلاقة بَيْنَ الإرهاب والإسلام فقال:

. من الذي أشعل الحرب العالميَّة الأولىٰ؟ المسلمون؟!

. من الذي أشعل الحرب العالميَّة الثَّانية ؟ المسلمون ؟!

. من الذي قام بقتل ٢٠ مليون نفسٍ بشريَّة من سكَّان أستراليا الأصليين؟! المسلمون؟!

. من الذي أرسل القنابل النَّووية لتضرب هيروشيما وناجازاكي؟ المسلمون؟!

. من الذي قام بقتل ما يزيد علىٰ الـ ١٠٠ مليون هنديٍّ من الهنود الحمر في أمريكا الشَّمالية؟ المسلمون؟!

. من الذي قام بقتل أكثر من ٥٠ مليون هنديٍّ من الهنود الحمر في أمريكا الجنوبيَّة؟ المسلمون؟!

. من الذي قام باسترقاق حوالي ١٨٠ مليون أفريقيٍّ كعبيد و قد توفي حوالي ٨٨% منهم وتَمَّ إلقاؤهم في المحيط الأطلنطي؟ المسلمون؟!

وتابع قائلاً:

لا... لم يكونوا المسلمين!!!!

وفي السياق ذاته:

النَّاس المتحضِّرون كلهم يصرخون بقوَّةٍ اليوم:

تهجير الأقليات المسيحية جريمة كبرىٰ...

تهجير الأقليات الأيزيدية جريمة كبرىٰ...

يجب حماية الأقليات الأيزيدية...

يجب حماية الأقليَّة المسيحيَّة في سوريا...

يجب حماية الأقليَّة المسيحيَّة في العراق...

يجب تقديم ضمانات للأقليَّة العلويَّة في سوريا...

لا يجوز السُّكوت علىٰ ما يحدث للأقليَّة الكرديَّة في العراق...

يجب دعم الأقليَّة الكرديَّة في سوريا لتحمي نفسها...

هٰذا كلُّه هو الكلام الحضاري الرَّاقي المفعم بالإنسانيَّة. أمَّا قيام الأقليَّة أيُّ أقليَّةٍ بإبادة أكثريَّة مسلمة، أو قيام أي أكثرية غير مسلمة بإبادة أقليَّة مسلمة، بذبح مئات ألوف المسلمين، وتشريد ملايين المسلمين، وتدمير منازل ملايين المسلمين، وتدمير آلاف مساجد المسلمين... فهذا سلوكٌ حضاريٌّ لا يجوز الاعتراض عليه... ومن يعترض عليه فهو متخلِّف ورجعيٌّ وانتهازيٌّ يجب أن يحجر عليه...

منذ وعيت علىٰ الدنيا وإلىٰ اليوم لم أجد أحداً أو فريقاً يوصف بالظلاميَّة إلا المسلم الذي يدافع عن الإسلام. وعندما أقول الإسلام فأنا أعني السُّنة، السُّنة ليست طائفةً، السُّنة ليست مذهباً، السُّنَّة هي الإسلام، هي الأمَّة الإسلاميَّة.

حَتَّىٰ غير المسلم مهما كان دينه أو لا دينه إن دافع عن الإسلام فهو موضوعيٌّ وعقلانيٌّ وعلميٌّ وراقٍ وحبَّاب ومحترمٌ. فقط المسلم الذي يدافع عن الإسلام هو الظلاميُّ.

ومن طريف التَّناقضات هنا أنَّ المسلم وغير المسلم من أيِّ دينٍ أو لا دينٍ إذا هاجم الإسلام بأيِّ طريقةٍ من الطُّرق فهو يمارس حريته، وهو

شجاعٌ، وهو موضوعيٌّ، وهو نبراس الوعي والنضج... هو كذلكَ مهما كانت طريقة الهجوم؛ مؤدَّبة، غير مؤدبة، فيها إساءة، فيها تشويه، فيها تحريف، فيها تخريف... لا يهم، المهم أنت تحوز أوسمة الشَّجاعة والبطولة والنبل وتعتلي المحافل الدولية ويُفرش لك السجاد الأحمر عندما تهاجم الإسلام.

المفارقة المضحكة المبكية هنا هي أنَّ غير المسلم من أيِّ دينٍ أو لا دينٍ إن دافع عن الإسلام فهو بطل ونبيل وعلمي وعقلاني... وإذا هاجم الإسلام فهو أيضاً بطل ونبيل وعلميٌّ وعقلانيٌّ... أمَّا المسلم فهو بطلٌ ونبيلٌ وعلميٌّ وعقلانيٌّ... فقط إذا هاجم الإسلام أمَّا إذا دافع المسلم عن الإسلام فهو ظلامي. بل ويا للغرابة والدهشة عندما تجد العالم يشيد براجحة عقل أحدهم وأهميته وعظمته وفجأة من دون مقدمات يصير مجنوناً، مخرِّفا، فقد عقله... فقط إذا تحول إلىٰ الدفاع عن الإسلام بعد أن كان يهاجمه.

في المقابل، المسيحية قبل الإسلام، وعدد المسيحيين أكثر من عدد المسلمين، وهناك مسيحيون يدافعون عن المسيحيَّة بشدَّة، وبتعصُّبٍ، وبتطرُّف، ومع ذَلكَ لم أجد عَبْرَ عشرات السِّنين من يصف هؤلاء بالظلاميين!!!

اليهودية قبل المسيحيَّة وقبل الإسلام، وبالقياس اليهودية أقليَّة في ميزان الأكثريات الدِّينية والعرقيَّة. وفيها متطرفون يفوقون تطرف المسلمين والمسيحيين، ومع ذَلكَ لم أجد أبداً عَبْرَ ما مضى من عشرات السِّنين من يصفهم بالظلاميين!!!

الهندوسيَّة، والبوذيَّة المنبثقة عنها اللتان تسبقان هٰذه الأديان الثَّلاث بمئات السِّنين، وعدد معتنقيها يساوي كلاًّ من الدِّيانتين علىٰ حدةٍ، وهي بمنزلة الديانة الوثنيَّة مقارنة مع الأديان السَّماويَّة، فيها من المتطرفين أيضاً ما لا يقلُّ عن تطرف المسلمين واليهود والمسيحيين. ومع ذٰلكَ لا توجد أيُّ إشارةٍ أو كلامٍ أو تصريحٍ أو تلميحٍ إلىٰ ظلاميَّةٍ هندوسيَّةٍ أو بوذيَّةٍ!!!

حسناً، حَتَّىٰ في العقائد الإلحاديَّة بمختلف أنواعها يوجد متطرفون يفوقون بتطرُّفهم تطرُّف مترفي الأديان السَّماوية والوضعية والوثنية... والعقائد الوثنيَّة فيها كذٰلكَ متطرفون... ومع ذٰلكَ لم نجد أبداً من تحدَّث في يومٍ من الأيَّام عن الظلاميَّة الشِّيوعيَّة أو غيرها!!

لماذا المسلمون حصراً هم الظلاميون؟

إذا كان الموضوع موضوع تطرُّف فقد وجدنا أنَّ الجميع علىٰ الأقل متطرفون مثل المتطرفين المسلمين، فلماذا المسلمون وحدهم ظلاميون، والآخرون يمارسون حريتهم، وليسوا ظلاميين؟

ويزداد الأمر تعقيداً عندما نعلم أنَّ الاتهام مقرونٌ بالإسلامي تحديداً وليس بالاجتماعيِّ، أي ليس بعقليَّة الشَّخص الاجتماعيَّة. فلا يتهم السُّلوك بالظلاميَّة إذا لم يكن مقترناً بالدِّفاع عن الإسلام أو المناداة به.

أكثر من نصف قرن من الحرب الإعلاميَّة علىٰ الإسلاميين في العالم العربي من قبل الأنظمة العربيَّة المسلمة، نصف قرن والفكرة التي تزرع في الرؤوس جميعاً أنَّ الإسلاميين إقصائيين، الإسلاميين يريدون الاستئثار بالسُّلطة، الإسلاميون يريدون أسلمة الدَّولة!!!

فماذا تنتظرون من كلِّ الأجيال التي انتفخ رأسها بهٰذه الأفكار؟

والسُّؤال الذي يقف الأغبياء أمامه ولا يسألونه:

وهل اليساريون الذي يحكمون زاهدون في السُّلطة؟

أليسوا هم أنفسهم من (لطش) السُّلطة منذ خمسين أو ستين سنة ولم يتزحزحوا عنها أبداً؟

أليست الأنظمة في العالم الإسلامي ذاتها على رأس السُّلطة منذ أكثر من نصف قرن وهي التي أقصت الجميع من دون استثناء؟

لا تسأل الطغاة لماذا طغوا اسأل العبيد لماذا ركعوا.

الفَصْلُ التَّاسع

حكام الإسلام أعداء الإسلام

نَبَتَ الشَّعر علىٰ ألسنة المحذرين منذ سنين وهم يكررون:

أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الْحِصَانُ الأَبْيَض

أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الْحِصَانُ الأَبْيَض

أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الْحِصَانُ الأَبْيَض

من يجب أن يفهموها ظنوها دندنةً لتأليف أغنيةٍ:

«بحبك يا حصان بدل بحبك يا حمار»

في سياق الحصان الأبيض والحصان الأخضر

الحقيقة التي يجب أن ندركها جيِّداً هي أنَّ حكام العرب والمسلمين هم الذين لا يقبلون أن تنجح أيُّ تجربةٍ إسلاميَّة في السُّلطة ولا في غيرها لأنَّ نجاح الإسلام السِّياسي في السُّلطة يعني عدم بقاء حاكمٍ عربيٍّ علىٰ رأس عمله، ولذلك تضافر ويتضافر الحكام العرب جميعاً علىٰ محاربة الظَّاهرة الإسلاميَّة بأيِّ شكلٍّ من أشكال ظهورها، إنَّهُم يصنعون المتطرفين في أقبية المخابرات ليحاربوا المعتدلين وليحاربوا الإسلام ذاته تحت عنوان محاربة التَّطرُّف...

أمَّا الغرب فهو لا يريد أن تنجح التَّجربة الإسلاميَّة بأيِّ صورةٍ أيضاً، ولٰكنَّهُ سيكون أمام الأمر الواقع ويتعايش مع أيِّ إسلامٍ سياسيٍّ يكون في السُّلطة، خلاف الحكام العرب الذين لن يكون لهم وجودٌ إذا وَصَلَ الإسلام السِّياسي إلىٰ السلطة، وأقول سلفاً ليس لأنَّ الإسلام السِّياسي إقصائيٌّ كما يزعمون، بل لأنَّ مزاج الشَّارع العربي مزاجٌ إسلاميٌّ ولن يقف مع أيِّ سلطةٍ في حال وجود إسلامٍ سياسيٍّ. ولقد أثبتت كلُّ التَّجارب التي وصل فيها الإسلام

السِّياسيُّ إلىٰ السُّلطة أنَّهُ ليس استثنارياً ولا إقصائيًّا، ولٰكنَّهُ صُوِّر كذٰلكَ، وتَّمت شيطنته تحت هٰذا الباب وما أمكن من أبواب الشَّيطنة لتسويغ محاربته وإقصائه عن السُّلطة.

ولـذٰلك فـإنَّ الأنظمـة في العـالم العـربيِّ والإسـلاميِّ هـي الـتي تقـود الحـرب الحقيقـة ضـدَّ الإسـلام والإسـلام السِّياسـي وضـدَّ نجـاح أيِّ تجربـةٍ إسـلاميَّة في السُّـلطة أو الإدارة أو المؤسَّسـات الاجتماعيَّـة هـي الحـرب... الغـرب لـيس بريئـاً ولٰكنَّـهُ في هٰـذا الشَّـأن ملحـقٌ بالأنظمـة العربيَّـة وتـابعٌ لهـا في ذٰلكَ.

منذ فترةٍ قصيرةٍ صدرت مذكَّرات روبرت چيتس وزير الدِّفاع الأمريكي السَّابق، ومما قال في مذكراته أنَّ بعض الأنظمة العربيَّة وعلىٰ رأسها السُّعودية صدَّعت رأس **أوباما** باتصالاتها المختلفة لمؤازرة **حسني مبارك** والوقوف إلىٰ جانبة لمنع وصول الإسلاميين إلىٰ السُّلطة، وخاصَّةً الإخوان المسلمين. وكذٰلكَ تماماً فعلت إسرائيل...

ولـذٰلك عنـدما فـاز الإخـوان بالسُّـلطة في مصـر قاطعتهـا الأنظمـة العربيَّـة وسـاهمت جميعـاً في محاربتهـا والعمـل علـىٰ إسـقاط التَّجربـة الإسـلاميَّة، لـيس المقصـود الإخـوان بقـدر مـا أنَّ المقصـود أي تجربـةٍ إسـلاميَّةٍ في السُّـلطة. وأجهضـت هٰـذه التَّجربـة في مصـر، والجهـود في تـونس علـىٰ قـدمٍ وسـاقٍ لإقصـاء الإسـلاميين، وعلـىٰ قـدمٍ وسـاق أيضـاً سـائرةٌ كـلُّ الجهـود العربيَّـة لإسـقاط حـزب العدالـة والتَّنميـة في تركيـا بسـبب تصـاعد شعبيته في العالم العربي والإسلامي...

هٰذه الحرب ليست جديدةً في حقيقة الأمر والواقع الواضح الذي يصعب بل يتعذَّر إنكاره، ارجعوا إلىٰ تجربة حماس في فلسطين(٦٢)، والجبهة الإسلاميَّة في الجزائر...

فتشوا عن العدوِّ الحقيقي ستجدون الأنظمة العربيَّة والإسلامية علىٰ رأسها.

الحقائق تتكشف اليوم بوضوحٍ لا مجال للشَّك فيه. كانت كلُّ هٰذه الحقائق قيد الاستقراء والاستنتاج من قبل الباحثين في العقود الماضية، ولٰكن اليوم صارت الأنظمة العربيَّة تلعب علىٰ المكشوف؛ محاربة الإسلام من قبل الأنظمة العربيَّة تتمُّ اليوم علىٰ المكشوف، والشَّعب العربيُّ صامتٌ بخشوعٍ وخنوعٍ.

بل الأعجب من العجب أن نجد جماهير العرب من فوق ومن تحت تهلِّل للعدوانِ الغربيِّ علىٰ العرب وعلىٰ الإسلام: مثقَّفون، محللون سياسيون... وجماهير الشَّعب الهادر علىٰ أرض الواقع وعلىٰ صفحات التَّواصل الاجتماعي... يعلنون ابتهاجهم بهٰذه الضَّربات الموجَّهة إلىٰ سوريا والعراق...

حكام العرب والمسلمين في خدمة إسرائيل كلام حكمٌ لم يعد جديداً بل الأغرب أنَّهُ لم يعد مستغرباً. المصيبة اليوم أنَّ إسرائيل لم تعد تجد حرجاً ولا عيباً ولا خوفاً من التَّصريح بذٰلكَ أيضاً.

منذ نحو عشر سنوات بدأت السِّياسة الأمريكيَّة والإسرائيليَّة تعمد إلىٰ الوضوح في مثل هٰذه المسائل، وفي مخطَّطاتها تجاه المنطقة لأنَّهَا أدركت أنَّ خيوط

(٦٢) . يمكن الرجوع إلىٰ مزيد من التفاصيل والمعطيات في كتابي: **العرب أعداء أنفسهم** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م، وفي كتابي: العرب جثَّة تنهشها الكلاب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

العنكبوت لا تستر عورة، ولأنَّهَا تريد صدم الشَّعب العربي بهٰذه الحقيقة وتعويده عليها لتصير عاديَّة، وهٰذا ما ناقشته لدى مناقشتي مشروع الشرق الأوسط الكبير(٦٣).

سنقف هنا عند مشهدٍ مهمٍّ وخطيرٍ يستحقُّ أن يحمل عنوان الحكام العرب في خدمة إسرائيل.

في نيسان ٢٠١٤م صرَّح رئيس الوزراء الإسرائيلي **بنيامين نتنياهو** خلال كلمته أمام مؤتمر منظمة آيباك الصهيونيّة في الولايات المتحدة قائلاً:«صدِّقوني أنَّ حكَّاماً عرباً كثيرين أخبرونا أنَّهُم لا يرون في إسرائيل عدوًّا، ونحن معنيون بأنْ نوفر الظُّروف التي تسمح بأن تخرج علاقاتهم معنا للعلن».

وفي السِّياق ذاته وفي هٰذه الآونة صرَّح رئيس شعبة الاستخبارات العسكريَّة السَّابق في الجيش الإسرائيلي، الجنرال **عاموس يدلين**، قائلاً: «إنَّ قرار السُّعودية باعتبار جماعة الإخوان المسلمين تنظيمًا إرهابيًّا، هو قرارٌ تأسيسيٌّ، يفتح الباب علىٰ مصراعيه أمام تحولات إيجابيَّة جدًّا تؤدِّي إلىٰ تحسن البيئة الإستراتيجيَّة لإسرائيل، علىٰ اعتبار أنَّهَا تضيِّق الخناق علىٰ أطراف تمثِّل تهديدًا للدَّولة العبريَّة، وفي مقدّمتها الحركات الإسلاميَّة السنيَّة» علىٰ حدِّ تعبيره.

وتابع الجنرال **يدلين**، الذي يرأس حاليًّا مركز أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي: «إنَّ القرار السُّعودي يعني أنَّ حكومة الرياض عاقدة العزم علىٰ دعم سلطة الانقلاب في مصر، وهٰذا يعني أنَّ السُّعوديَّة تؤكِّد التزامها بتوفير الظروف التي تدعم بقاء هٰذه السلطة، وهو ما يعدُّ مصلحةً استراتيجيَّةً من الطِّراز الأوَّل

(٦٣) . البحث منشور في كتابي: **قضايا الفكر العربي المعاصر** . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.

لإسرائيل. وهناك في تل أبيب من احتفى بهٰذا القرار، علىٰ اعتبار أنَّهُ سيؤدِّي إلىٰ تكثيف الحصار علىٰ المقاومة الفلسطينيَّة، سيَّما في قطاع غزة».

قرار السُّعودية بحظر الأخوان المسلمين وعدهم جماهة إرهابية، وهو ما لم تقبل أن تفعله دولةٌ في العالم بما فيها إسرائيل والولايات المتحدة وغيرهم... لقي احتفاء مدهشاً في إسرائيل، فإلىٰ جانب الجنرال **يدلين** لم يستطع **دوري چولد** كبير المستشارين السياسيين لرئيس الوزراء الإسرائيلي **بنيامين نتنياهو** الذي تجاوز الفرح بالقرار السُّعودي إلىٰ اقترحات ومطالب وجهها علىٰ صيغة آمال للسُّعودية فقد قال: «إنَّ إسرائيل تأمل أن يسفر القرار السُّعودي عن تشديد إضافي علىٰ وصول الأموال لحركات المقاومة الفلسطينيَّة، تحديدًا في قطاع غزة».

بل إنَّ **چولد** يعترف بأنَّ السُّعودية ودول الخليج قد قطعت شوطًا طويلاً في فرض رقابةٍ صارمة وقيود شديدة علىٰ تحويل الأموال من الخليج إلىٰ قطاع غزة . كما فعلوا في دعم الثَّورة السُّورية . ومع ذٰلكَ فإنَّ **چولد** يعرب عن أنَّ «تل أبيب تأمل أن يسفر القرار الأخير عن سدِّ منافذ الدَّعم المالي للقطاع علىٰ نحوٍ مطلقٍ».

أمّا الجنرال في الاحتياط **رون تيرا**، الذي سبق أن شغل مواقع مهمة في شعبة الاستخبارات العسكريَّة، ويعمل باحثا رئيساً في (مركز أبحاث الأمن القومي) فقال في دراسة أعدَّها ونشرها علىٰ موقع المركز الالكترونيِّ فقد قال: «إنَّ العائلة الحاكمة في الرياض تناصب جماعة الإخوان المسلمين العداء لأنَّها تخشى أن تنتزع منها هٰذه الجماعة تمثيل الإسلام السني في العالم». المسألة إذن مسألة خوف علىٰ الكراسي وعلىٰ السلطة من الإسلاميين وليست لأنَّ الإسلاميين فيهم عيب أو

عــوار أو خلــل كمــا يزعمــون، ليســت لأنَّ الإســلاميين إرهــابيين كمــا يزعمــون، ومــن المضــحك جــدًّا جــدًّا أن يقــول المتحكمــين بالسُّــلطة مــن عشرات السِّنين إنَّ الإسلاميين لن يتركوا السُّلطة إذا وصلوا إليها.

الحرب علىٰ الإسلاميين أو علىٰ الإسلام السِّياسي ليست جديدةً أبداً، ولٰكنَّ تيرا يتابع توضيحاً وتأكيداً قائلاً: «ممَّا زاد من دافعيَّة السُّعودية للتَّصدي لجماعة الإخوان المسلمين هو تفجر ثورات الربيع العربي، ووصول جماعة الإخوان المسلمين للحكم في عدد من الدول العربيَّة، خاصَّةً في مصر، الأمر الذي يؤذن بتحقُّق أكثر الأحلام سوداويَّة بالنِّسبة للعائلة المالكة بشأن اضطلاع (الإخوان المسلمين) بدور راعي العالم السنيِّ». مرَّةً أُخْرَىٰ يعيد تأكيد سبب محاربة وصول الإسلام إلىٰ السُّلطة بأنَّهُ خوفٌ، وهو الحقيقة، خوفٌ علىٰ الكرسي والسُّلطة وليس حبًّا بالإسلام ولا خوفاً علىٰ الإسلام كما يزعمون من هؤلاء الإقصائيين الإرهابيين.

ومثلما تضحك أمريكا وإسرائيل علىٰ العرب والمسلمين بأكذوبة الإسلام المعتدل، وحَتَّىٰ الحكام العرب أنفسم يلعبون لعبة الإسلام المعتدل، قال وزير القضاء الإسرائيليِّ الأسبق **يوسي بيليين**: «إنَّ أحد أسباب الشُّعور بالارتياح للقرار السُّعودي في دوائر صنع القرار والنُّخب المثقَّفة في تل أبيب هو أنَّهُ يدلُّ بالنِّسبة لها علىٰ عودة محور الاعتدال العربيِّ للحياة مجدَّداً». وتَابَعَ في النَّغمة ذاتها: «إنَّ عودة محور الاعتدال للتَّحرُّك بهٰذا النَّشاط والفاعليَّة يمثِّل مصلحةً مهمَّةً لإسرائيل علىٰ اعتبار أنَّ أنماط عمله الحالية كلها تصبُّ في صالح إسرائيل علىٰ نحو مباشرٍ وغير مباشرٍ». وختم **بيلين** بصراحةٍ عاليةٍ: «في الماضي كانت الدول التي تشكِّل محور الاعتدال تضطر إلىٰ اتخاذ خطوات مجاملةٍ لأطرافٍ

معاديةٍ لإسرائيل، لٰكنَّهَا الآن تشنُّ حرباً لا هوادة فيها عليها، وبشكلٍ خاصٍ جماعة الإخوان المسلمين دون مواربةٍ، علىٰ اعتبار أنَّها تنظر لهٰذه الجماعة علىٰ أنَّهَا التَّهديد الأبرز علىٰ محض بقاء هٰذه الأنظمة».

ما سبق أنموذجٌ واحدٌ من نماذج الصَّراحة والوضوح في وصف ما يحدث، وما يحدث ليس جديداً علىٰ أيِّ حالٍ. في هٰذا السِّياق كتب العزيز الدكتور **إبراهيم حمامي**(٦٤) هٰذا المقال وأنشره كما هو تماماً في سياق هٰذا الفصل:

بما أنَّ حكام الإمارات لديهم هوسٌ بأطول وأعرض وأضخم وأعمق وأكثر... فقد قرَّروا دخول الموسوعة الدُّوليَّة هٰذه المرة بأكبر قائمة للمنظَّمات «الارهابية» دفعة واحدة، ٨٣ منظمة وحركة ومؤسَّسة دفعةً واحدةً قرَّر عيال زايد وضعها علىٰ لوائح الإرهاب الخاصَّة بهم!

قرَّروا تحويل الإمارات لدولة العمارات والخمَّارات والعاهرات، لا بأس هٰذا شأنهم...

لٰكن، غريب أمر هٰؤلاء الذين قرَّروا أن يزجُّوا ببلدٍ آمنٍ مسالمٍ في أتون صراعات المنطقة، وليتهم كانوا داعمين للحقِّ والعدل، بل في الجانب المعادي للشُّعوب وتطلعاتها...

يدعمون **حفتر والسيسي والباجي السيبسي وعلي صالح**...

يحركون المؤسَّسات الإعلاميَّة التي تعمل من هناك كالعربيَّة وما شابهها لتمرير أكاذيبٍ وتضليلاتٍ ضدَّ الثَّورات العربيَّة...

---

(٦٤) . هٰذا المقال للأخ الدكتور إبراهيم حمامي نشره ٢٠١٤/١١/١٦م في مواقع التواصل الاجتماعي.

حوَّلوا الامارات المزدهرة لمكب نفاياتٍ بشريَّةٍ تحتضن كلَّ من تلفظهم شعوبهم من طغاة المنطقة...

وآخر المطاف لائحة «إرهاب» يستحي حَتَّىٰ **بوش الابن** منها وتشير لأمرٍ واحدٍ لا ثاني له...

إنَّهُم أعلنوا حربهم الخاصَّة ضدَّ المؤسَّسات والجماعات الإسلاميَّة في كلِّ مكان...

قد نتفق علىٰ بعض الأسماء الواردة وتصنيفها لٰكنَّنا نتوقف هنا عند التَّالي:

- خَلَت اللائحة المذكورة من أيِّ حركةٍ أو تنظيمٍ غير إسلاميٍّ.
- لم تشمل علىٰ سبيل المثال جماعة أمناء الهيكل اليهوديَّة ولا حزب الله الشِّيعي أو من يقتل المسلمين في بورما البوذية أو جيش الرَّب والروح القدس المسيحيَّة في أفريقيا.
- احتوت اللائحة علىٰ روابط إسلاميَّة في أوروبا والولايات المتحدة تعمل علىٰ خدمة المسلمين في تلك البلاد برخص رسميَّة وهي في غالبيتها السَّاحقة إن لم تكن جميعها مسجَّلة بوصفها مؤسَّساتٍ خيريَّةً غير ربحيَّةٍ غير سياسيَّةٍ.
- أيضاً شملت لائحتهم مؤسَّساتٍ إغاثيَّةً يستفيد منها آلاف المحتاجين عبر العالم وفي كلِّ مكان، تخضع حساباتها وتحويلاتها ومشاريعها للتَّدقيق المباشر من قبل السُّلطات المسجَّلة لديها، هٰكذا يرمونهم بالإرهاب وبكلِّ بساطة.
- أيضاً وضعوا في قائمة الإرهاب هيئة علماء المسلمين بكلِّ مشايخها وعلمائها، وهم أئمة ودعاة وفقهاء لا يحملون سلاح، ولا يتدخَّلون في السِّياسة إلا بما يرضي الله والشُّعوب الثَّائرة.

• من الملفت أنَّ الإمارات والسُّعودية وباكستان هي الدُّول الوحيدة التي اعترفت بحكم طالبان التي صنفتها القائمة على أنَّهَا «إرهابية».

• وضعوا كلَّ فصائل المعارضة السُّورية تقريباً في لائحتهم لكنَّهُم لم يقتربوا محض اقترابٍ من داعميه أو من نظامه الذي ذبح مئات الآلاف وشرَّد الملايين.

لكن لكلِّ فعل وعمل إيجابيَّات أيضاً حَتَّىٰ السَّيئ منها:

• لقد كشف حكَّام الإمارات علىٰ نحو لا لبس فيه عن موقفهم المعادي لكلِّ ما هو إسلامي.

• سيكون ذَلكَ بمكانة شرارة لتتوحد المؤسَّسات العاملة في الغرب – أوروبا وأمريكا– تحديداً لاتخاذ موقف من هٰذا الموقف المعادي.

• رأس المال جبان كما يقولون، وقد ارتضى حكَّام الإمارات أن يكونوا طرفاً معادياً في المنطقة لشعوبها ومحتضناً لطغاتها، لن يطول الوقت قبل أن تكون الإمارات نفسها ساحة لردِّ الفعل من أبنائها ومن المظلومين.

• ردود فعلٍ قانونيَّة وسياسيَّة وحقوقيَّة وإعلاميَّة تكشف الوجه القبيح وتضرب الصُّورة التي يرسمونها لأنفسهم خاصَّة في الغرب.

من يُمارس الإرهاب هي تلك السُّلطات التي تختطف البشر وتخفيهم...

إنَّ من يُمارس الإرهاب هم هؤلاء الذين باسم «أمن الدولة» يعتقلون وينكلون ويسحبون الجنسيَّة ويتخذون العائلات رهائن ويمنعون النَّاس من السَّفر...

من يُمارس الإرهاب هو من يزج بخيرة رجال الإمارات وروادها ونخبتها في السُّجون ويأتي بخيالات مطرودةٍ طريدة ليصبحوا مستشارين أمنيين يتحدَّثون باسم الإمارات في المحافل الدوليَّة...

آن الأوان ليقف الجميع وقفةً واحدةً ضدَّ ممارسات عيال **زايد** خاصَّةً الاعتقال التعسفي والإخفاء القسري والتَّعذيب الذي طال أكثر من مئتي شخص من ١٣ دولة ووثقته مؤسَّساتٌ حقوقيَّةٌ علىٰ رأسها هيومان رايتس ووتش والعفو الدوليَّة...

آن الأوان لحراك مجتمعيٍّ ومؤسَّساتي وفي كلِّ مكانٍ للتَّواصل مع صُنَّاع القرار والضَّغط في اتجاه استصدار قرارات تحقيق وتجريم في تلك الممارسات...

آن الأوان لتحريك قضايا في المحاكم ذات الاختصاص والوصاية الدوليَّة ضدَّ الجرائم والانتهاكات التي تقوم بها السُّلطات هناك...

هم أعلنوا حربهم القذرة ضدَّ المؤسَّسات الإسلاميَّة (لا الحركات والفصائل)...

وعليهم أن يدفعوا الثَّمن بكلِّ الطُّرق والوسائل المتاحة والمشروعة...

لانامت أعين الجبناء

لائحة «الارهاب» الإماراتيَّة.

انتهى كلام الدكتور **حمامي**، ولٰكن لم تنته قائمة الممارسات الإماراتية في محاربة وصول الإسلام إلىٰ السطلة، سواء من خلال الديمقراطية أو من خلال الجماعات الإسلاميَّة.

في أوائل شباط/ فبراير ٢٠١٤م كشفت مصادر وتقارير غربية حسب ما ذكر موقع بوابة القاهرة، النقاب عن استمرار الدعم الإماراتى لفرنسا فى حربها ضدَّ الإسلاميين فى إفريقيا، وذكرت التقارير أنَّ دعم أبوظبي لباريس لم يتوقف عند حدود الهجوم علىٰ إسلامي مالي، بل امتدَّ ليشمل حرب الإبادة التى تشنها هٰذا الأيَّام الميليشيات المسيحيَّة ضدَّ المسلمين فى افريقيا الوسطى برعاية فرنسية

وتمويل إماراتى، وأسفرت عن مجازر بشعة فى هذا البلد الأفريقى الواقع فى شريط دول السَّاحل والصَّحراء المحاذى للدول العربيَّة شمال القارة.

وأشارت التَّقارير إلىٰ اعتراف الرئيس الفرنسي **فرنسوا هولاند** بأنَّهُ حصل علىٰ دعمٍ ماديٍّ من الإمارات في العمليَّة العسكريَّة التي تشنُّها فرنسا ضدَّ ما سماه المسلحين المتشددين في مالي، وقوله إنَّ باريس وأبو ظبي لديهما نفس التوجهات فيما يخص الوضع هناك.

ولفتت هٰذه التقارير إلىٰ أنَّ ولي عهد أبو ظبي دفع ٤٠٠ مليون دولار للجيش الفرنسي وذٰلكَ في عدوانهم علىٰ مسلمي مالي، وهو المبلغ الذي كان دفعة أولية فقط، من أجل إنجاز هٰذه المهمة.

وكشفت التقارير حسب موقع بوابة القاهرة ذاته عن أسباب هٰذا الدعم والتورط الإماراتى في الحرب ضدَّ المسلمين فى دول السَّاحل والصَّحراء التى تبعد عنها آلاف الكيلو مترات، وأرجعته إلىٰ أمرين الذي يهما هنا منهما هو مناهضة **محمد بن زايد**، ولي عهد أبو ظبى، التيارات الإسلاميَّة والوقوف بقوَّة أمام أي توجه إسلامي، فى دول السَّاحل والصحراء، حَتَّىٰ لا تكون قاعدةً خلفيَّةً لدول الربيع العربي بإفريقيا التى شهدت صعود الإسلاميين فى المشهد مثلما حدث فى مصر وليبيا وتونس، وهو ما دفع وليَّ عهد أبو ظبى إلىٰ القول إِنَّهُ مستعد لإطاحة الرئيس المصرى المنتخب **محمد مرسى** حَتَّىٰ لو دفع كلَّ ميزانية إماراته، وهو ما تحقَّق بالفعل بعد عزل **مرسى** بدعم إماراتي واضحٍ، فضلا عن تمويلها ميليشيات علمانيَّة وفلول نظام **القذافي** فى ليبيا لمواجهة الإسلاميين، بينما فى تونس تدعم الأحزاب المناهضة لحركة النهضة الإسلاميَّة التي تصدرت السَّاحة هناك بأصوات الناخبين.

وذكرت التَّقارير أن المسؤولين الإمارتيين، أبدوا إنزعاجهم لفرنسا من وصول رئيس مسلم إلىٰ سدَّة الحكم في إفريقيا الوسطى، وأنَّهُم أكدوا استعدادهم لتمويل أيِّ عمليَّات لإزاحته من الحكم، كونه ينتمى لمرجعية أقرب للإسلاميين العرب فى شمال القارة، وليس ما تعتبره أبو ظبي مرجعية الإسلام السمح الذى تسعى لنشره، وأنَّهُ بعد إزاحته واصلت الإمارات دعم المليشيات المسيحية التى تعمل تحت غطاء فرنسي لاقتلاع جذور من تصفهم بالإسلاميين المتشددين من هٰذا البلد، وهو ما أدىٰ إلىٰ المذابح البشعة الدَّائرة حاليًّا هناك.

وقالت التَّقارير إنَّ أبو ظبي تنتهج المنهج ذاته فى مصر حاليًّا، بدفع السُّلطة الجديدة إلىٰ عدم إجراء أيِّ مصالحة مع جماعة الإخوان المسلمين، والتهديد بقطع المساعدات عن القاهرة، إذا لم يتم القضاء نهائيا علىٰ الجماعة التى يعتبرها **محمد بن زايد** أكبر خطر يهدد بقاء عائلته في السُّلطة.

السِّلسلة لا تتوقف هنا، الأمر الذي دعا الدكتور **طارق سويدان** إلىٰ القول عبر حساباته علىٰ مواقع التواصل الاجتماعي فيس بوك وتويتر: هناك حكومة في الخليج أخذت علىٰ عاتقها التَّدخُّل في كلِّ الدُّول، من أجل الحرب ضدَّ الإسلاميين، ينفقون أموالهم لتكون عليهم حسرة ثمَّ يغلبون! من هي؟!

الفصل العاشر

هل انتهت المشكلة هنا؟

هل انتهت المسألة؟

هل ستنتهي هنا؟

إنَّهُ لمن الصُّعوبة بمكانٍ، بل من شبه الممتنع إن لم يكن من الممتنع تخيُّل أنَّ الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلاميِّ والعربيِّ خاصَّةً؛ وريثةَ الاستعمار الأوروبي، ستتخلَّىٰ عن حربها علىٰ أيِّ نجاحٍ للحركات والأحزاب الإسلاميَّة في السُّلطة وحَتَّىٰ في المجتمع. هَؤلاء الوكلاء فكيف بأصحاب الشَّأن الأصلاء في محاربة الإسلام السِّياسي؟ أعني السَّاسة الغربيون ولا أعني الشُّعوب التأكيد[٦٥].

الحقيقة التي يقرِّرها كثيرون ولا يجدون ما يستدعي النِّقاش فيها هي أنَّ الحرب علىٰ الإسلام وليست علىٰ الأحزاب والحركات الإسلاميَّة. عندما لم يجد الغرب ذريعةً صريحةً لنقل ساحة الصِّراع إلىٰ الإسلام بعد الحرب الباردة اصطنع القاعدة التي لم تكن موجودة وجعل وجودها الافتراضي عدوًّا حقيقيًّا. ليس لهذا إدانة للقاعدة، كما أنَّهُ ليس مدحاً لها بطبيعة الحال. ولٰكنَّ طريقة وجودها تعبيرٌ عن أنَّ الحرب ضدَّ الإسلام وليست ضدَّ الأحزاب والحركات الإسلاميَّة كما يتوهَّم المسلمون وكما يحاول إيهامنا الكثيرون، فلو لم يكن هناك أحزابٌ وحركاتٌ إسلاميَّةٌ لاصطنع الغرب ذٰلكَ كي يكون مسوِّغاً لسلوكاته العدوانية في

(٦٥) . التمييز في هٰذا الشأن بَيْنَ الشعوب الغربية والسياسة الغربية تجاه العالم الإسلامي أمر يستحق وقفة مطولة، كانت لنا وقفة معها من زاوية من الزوايا في كتابنا: تفجيرات أيلول وصراع الحضارات.

محاربة الإسلام. إنَّهُ نوعٌ من لبس القفازات لعدم لمس الضَّحيَّة مباشرةً في أثناء ذبحها، إنَّهُ نوعٌ من إلباس الخصم أو العدو قناعاً قبل قتله حَتَّىٰ يقول لذويه لم أقصده هو وإنَّمَا كنت أحارب القناع؛ ظننته هو الأصلي.

لن يتحمَّل ولن يقبل المجتمع الدولي ولا طغاة العرب والمسلمين أيَّ ديمقراطيَّه تأتي بالإسلام السِّياسي إلىٰ السُّلطة. ولذلك علىٰ حزب العدالة والتَّنمية أن يدرك جيِّداً ما يتربَّص به من تحديَّات. وعلىٰ الإسلام السِّياسي أن يدرك أين يسير ويعرف كيف يسير.

يقول الدكتور **فيصل القاسم**: «لقد تعلم الاسلاميون الأتراك من أخطائهم، ودخلوا المعترك السِّياسي بعقليَّة وشكلٍ جديدٍ مقبولٍ داخليًّا وخارجيًّا»(٦٦). ولٰكنَّ هٰذا لا يكفي أبداً. لا يكفي الاستفادة من أخطاء الماضي لمواجهة استعصاءات الحاضر. مثلما تعلَّم العدالة والتَّنمية التركية من أخطاء الماضي فقد تعلم أعداء الإسلام السِّياسي من ثغرات الماضي. ولذلك يجب أن يكون الحزب والإسلام السِّياسي أسبق من الحدث دائماً. وإلاَّ فسيظلُّ الإسلام السِّياسي منشغلاً بالذَّب عن نفسه هجوم الأعداء والخصوم، لاهثاً وراء دفع التُّهم عن نفسه لا يخرج من واحدةٍ حَتَّىٰ يدخل في أُخْرَىٰ.

ولعَلَّ أخطر ما يتربَّص بالإسلام السِّياسي في العالم الإسلامي معظمه إن لم يكن كله هو مسحة الغباء وسوء التَّخطيط وانعدام البصيرة. هٰذه حقيقة وليست تجنيًّا. إنَّهُم لا يستفيدون من بداهات الإسلام في التَّفكير والتَّخطيط

(٦٦) . الدكتور فيصل القاسم: منشور على صفحته في الفيس بوك . السبت ٢٠١٤/٢/١م.

والعمل... ناهيكم عن وجود اختراقات من خلال ما يسمَّى المجموعات المتطرِّفة التي تدَّعي أنَّها الإسلام السِّياسي وما يلفُّ هٰذه الجماعات من غموضٍ في أقلِّ تقديرٍ، وعدم وجود مرجعيَّات إسلاميَّةٍ قادرةٍ علىٰ إيصال الصَّوت المناسب بالطَّريقة المناسبة.

تاريخ أمتنا بمئة كلمة

الذين ثاروا علىٰ الخلافة الأمويَّة

قيادةٌ واحدةٌ بمرجعيَّةٍ واحدةٍ وخلافةٍ واحدةٍ

فانتصروا وصنعوا تاريخا طويلاً من الأمجاد سمعي بالخلافة العباسيَّة

الذين ثاروا علىٰ الخلافة العباسيَّة

عشرات الأمراء وعشرات المرجعيات وعشرات الخلفاء

فمزقوا الأمَّة شرَّ ممزقٍ إلىٰ عشرات الممالك المتناحرة

الذين ثاروا علىٰ هٰذه الممالك كلها

قيادة واحدة بمرجعيَّةٍ واحدةٍ وخلافةٍ واحدةٍ

فلمُّوا شمل الأمة من التَّشتت مئات السنين

الذين ثاروا علىٰ الخلافة العثمانيَّة عشرات القادة وعشرات المرجعيات وعشرات الأمراء والملوك فمزَّقوا الأمَّة إلىٰ عشرات الدول التي دخلها الاستعمار ملثما دخلها الاحتلال بعدما تشرذمت إثر الدَّولة العباسيَّة.

الذين ثاروا علىٰ الاحتلال الأوروبي عشرات القادة وعشرات الزعامات وعشرات المرجعيات فبقيت الأمَّة مشرذمةً.

ختام القول، وما زال ما يجب أن يقال كثيرٌ: آفة المسلمين الأساسيَّة عدم وجود مرجعيَّة احتكاميَّة فعليَّة لا شكليَّة. لا يوجد دين

في العالم، ولا مذهب ولا طائفة ولا حَتَّىٰ حزب إلا وله مرجعيَّةٌ لها سلطة القانون وإلزاميَّة السُّلطة التَّنفيذيَّة في كثيرٍ من الأحيان... المسلمون وحدهم، ورُبَّما وحدهم فقط، يفتقرون إلى ذَلكَ ويفتقدون إليه. وهٰذه مسألة تحتاج حديثاً مطولاً ووقفات...

الإخوان المسلمون هم الفزاعة التي استخدمتها الأنظمة العربية علىٰ مدار عشرات السنين الماضية. كلما أرادوا شنَّ حرب علىٰ الإسلام أخرجوا هٰذه الفزَّاعة من جرب سليمان، وإذا كانت هناك فزاعة أُخْرَىٰ تركوها إلىٰ حين الحاجة.

مع انطلاقة الربيع العربي وكثرة الحركات المتشددة صار الإخوان المسلمون الملاذ والمرجع الوسطي الاعتدالي للجماهير المسلمة، علىٰ الأقل مقارنة مع الحركات والتنظيمات المتشددة أو المتطرفة كما يستهوي الغرب والأنظمة الإسلامية تسميتها. هٰذه النقطة تحديداً كانت مقتل الإخوان المسلمين علىٰ الرَّغْمِ مما بدا من أنَّها تصب في صالحهم.

جماهيرية الإخوان المسلمين التي تصاعدت مع تصاعد المد الجهادي كثرة وقوة الحركات المتشددة جعل أنظار الأنظمة العربيَّة تحديداً تتجه إلىٰ الإخوان المسلمين بوصفهم البديل الأقوىٰ للطَّرفين: الأنظمة والحركات الإسلاميَّة، ولذلك كانت الحرب عليهم حَتَّىٰ تبقى الأنظمة وحيدة في السَّاحة من دون منافس. ووصلت الأمور إلىٰ درجة من الاستقطاب والعدوانية علىٰ كل ما هو إسلامي مهما كان صغيراً بذريعة محاربة الإخوان المسلمين وغيرهم. ولذلك كتبت تعقيباً علىٰ هٰذه الهجمة علىٰ الإخوان المسلمين:

خير ما يفعله الإخوان المسلمون هو حلُّ الجماعة واعتزال العمل السِّياسي والدَّعوي... ولا بأس من اعتزال العبادة تأكيداً في الضَّمانات للمجتمع الدولي، آسف، للأنظمة العربيَّة. لأنَّ الأنظمة العربيَّة تنفق عشرات مليارات الدولارات شهريًّا لمحاربة الإسلام تحت مسمَّى الإخوان المسلمين، خوفاً من وصول الإخوان المسلمين إلىٰ السُّلطة...

لا نريد هٰذه المليارات فقد كانت أساساً تنفق في مواخير الدَّعارة والقمار سابقاً. نريد أن يعود إنفاق هٰذه المليارت إلىٰ تلك المواخير، لا نريدها أن تنفق في دمار أوطاننا بذريعة محاربة الإرهاب... ذٰلكَ أنَّ الأنظمة العربيَّة تفعل في محاربة الإسلام ما تعجز عنه، وتخشاه، ولا تجرؤ عليه أيُّ دولةٍ غير عربيَّة أو غير مسلمةٍ. ولذٰلك يجب سحب ذريعة وصول الأخوان المسلمين إلىٰ السُّلطة...

علىٰ الإخوان المسلمين أن يبادروا إلىٰ خطوة الانسحاب من الحياة السِّياسية كي يبرؤوا أنفسهم أمام المجتمع العربيِّ والإسلاميِّ لا أمام الله، ويضعوا المسلمين أمام مسؤلياتهم...

الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع، أعني جميع المنتسبين إلىٰ الإسلام، أنَّ محاربة الإخوان المسلمين التي تصاعدت في الأشهر الأخيرة وخاصَّةً من بعد الانقلاب **السِّيسي** في مصر علىٰ السُّلطة... لم تكن مفاجئةً ولا طارئةً، وإنَّما كانت الخطوة المنطقيَّة والتَّاريخيَّة بعدما تَمَّت شيطنة القاعدة شيطنةً تامَّةً، وصار تنظيم القاعدة في المجتمع الإسلامي عاراً يجب التَّبرؤ منه والقضاء عليه. ويبدو واضحاً كيف أنَّ الشَّباب العربيَّ الحضاريَّ الماجد الواثق لا يقبل تنظيم القاعدة ويحاربه بكلِّ الوسائل والسُّبل الإنترنتيَّة والعسكريَّة والنَّفسيَّة.

بعدما وَصَلَ المجتمع الدولي بزعامة الأنظمة العربيَّة والإسلاميَّة إلىٰ حشر تنظيم القاعدة في الزَّواية والانتهاء منه نظريًّا صار لا بُدَّ من الانتقال إلىٰ خطوة أكثر تقدُّماً في شيطنة الإسلام من خلال شيطنة الإسلاميين الذين لهم حضورهم في المجتمع العربي. فكانت الحرب علىٰ الإخوان المسلمين التي بدأت تظهر بوضوح منذ فوزهم في الانتخابات في مصر، وظهور فوز الإسلاميين في أكثر من دولة عربيَّة وخاصَّة دول الربيع العربي...

لقد جَمَعَ الإعلام العربيُّ/ العبريُّ بَيْنَ كلِّ الإسلاميين أو حَتَّىٰ المتدينين تحت إحدىٰ عباءتين؛ إمَّا القاعدة أو الإخوان. هناك إسلاميون ليسوا من هنا ولا من هناك، ومع ذَلكَ فإنَّ الإعلام العربيَّ/ العبريَّ يخاطبهم أو يخطب عنهم بوصفهم أحد الفريقين: القاعدة أو الإخوان...

في هٰذا السِّياق تتمُّ محاربة الإسلام جَهَاراً نهاراً بكلِّ وقاحةٍ، وكلِّ وضوحٍ، وكلِّ صراحةٍ، (اللي استحوا ماتوا)، لم يعد من داعٍ للحياء، الحرب علىٰ الإسلام من قبل حكَّام المسلمين واضحةٌ صريحةٌ لا لبس فيها. لقد هَدَمَت المسافات بَيْنَ المسلم والإسلامي، بَيْنَ المسلم والمتطرف، وصار كلُّ متديِّنٍ إمَّا قاعديًّا أو أخوانيًّا. ولا حلَّ ثالث لمتدين، ولا تصنيف آخر للمتدين. ولا بُدَّ من محاربة أيِّ شخصٍ أو جهةٍ أو فئةٍ تريد أن تصل إلىٰ السُّلطة باسم الإسلام مهما كانت صفته وشكله وطوله وعرضه واعتداله وتطرفه... وصارت العلمانيَّة والدَّولة المدنيَّة هي الحلُّ الوحيد للمجتمع العربيِّ، الدَّولة المدنيَّة هي الحل، بدلاً من الإسلام هو الحل. وصار الإسلام في مقابل العلمانيَّة...

من طرائف الدنيا وعجائبها أنَّ الأنظمة العربية (المسميَّة علىٰ الإسلام) التي حاربت العلمانيَّة عشرات السِّنين لأنَّ العلمانيَّة ضدَّ الإسلام كما يفهمون

ويقولـون، صـارت اليـوم تشـجِّع العلمانيَّـة وتتحـدَّث عـن مناقبهـا وأهميتهـا وحضاريتها... وبقدرة قادرٍ صارت العلمانيَّة أنموذج الحكم المثالي، أنموذج الدَّولة المثالي. وفي المقابل الإسلام الذي كان بديلهم عن العلمانيَّة صار هو أنموذج التَّخلف والرجعيَّة والانغلاق، والعلمانيَّة أنموذج الرقي والحضارة والتَّقدُّم...

لا بُدَّ هنا أن أسال سدنة هٰذه الأنظمة العربيَّة الماجدة، وهي نفسها لم تتغيَّر: لماذا كنتم تحاربون العلمانيَّة عشرات السِّنين الماضية؟ ألم تهدروا من طاقات الأمَّة وقدراتها وقيمها ومستقبلها عشرات السِّنين من الصِّراع العبثي؟

إذا كنتم جاهلين ما كنتم تفعلون، وهٰذا مستبعدٌ، أفلا يحتمل أنكم ما زلتم في جهلكم تعمهون؟

إذا كنتم جاهلين وحكمتم عشرات السِّنين بجهلكم فالأَولىٰ أن تتركوا لأنَّهُ لا يحقُّ لكم أن تتابعوا.

ولٰكن، ماذا لو كنتم تعلمون ما تفعلون من افتعال حروب لا غاية لها إلا تدمير مستقبل الأمَّة؟

والسَّلام.

لم يبق الكثير صورةً لأضيفه في هٰذه الخاتمة. التفصيلات كثيرة وهي لا تزيد الأمر إلا أمثلة شواهد تتكرر بمختلف الصيغ ومختلف الأماكن. علىٰ أنَّ ما تجدر الإشارة إليه ثانية هو أنَّ هٰذا الكتاب ليس إلا جزءاً من سلسلة كتب لي تناولت بها الموضوع ذاته من ثلاث زوايا مختلفة أولها العالم في مواجهة الإسلام(٦٧)، وثانيها الحرب علىٰ الدولة الإسلاميَّة(٦٨)، وثالثها هٰذا الكتاب...

ما سأختم به هٰذا الكتاب هو مداخلتي في ندوة دائرة مستديرة دعتني إليها السفارة الإيرانية في أواخر عام ١٩٩٩م مع مفكرين آخرين هما الدكتور طيب تيزيني والدكتور زهير غزاوي، وعدد من آيات الله من إيران والعراق ولبنان وسوريا، للبحث في مستقبل الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين.

حملت مداخلتي عنوان «لنفهم الإسلام أولاً»، وقد كتبتها بعد الندوة استجماعاً بعد أيام لنشرها في كتاب وقد صدر بعد ذٰلكَ تحت عنوان: الأمن

(٦٧) . يصدر الكتاب بالتزامن مع هٰذا الكتاب عن الناشر ذاته.

(٦٨) . يصدر الكتاب بالتزامن مع هٰذا الكتاب عن الناشر ذاته.

الإسلامي ونستقبل الأمة بجمع وتقديم حميد حلمي زادة مدير الندوة حينها[٦٩]. وهٰذه هي:

بغضِّ النَّظر عن المفكرين الرواد، الذي بدؤوا بطرح مشكلات العالم الإسلامي منذ أواخر القرن الثَّامن عشر، وطرح الحلول التي رأوها مناسبةً، فإنَّ قرناً كاملاً علىٰ الأقل قد مضىٰ، والعالم الإسلامي يطرح سؤالاً واحداً بكلِّ الأشكال والصور الممكنة، وهو: كيف يمكن للمسلم، أو للمسلمين، أو للعالم الإسلاميِّ أن يخرج من قيود التَّخلف والجهل والتَّبعية، وكيف له أن يكسر قيود الضَّعف التي تجعل العالم كله يستقوي عليه، ويستهين به، وبحقوقه... وربَّما بكل ما يخصَّه.

ولكن للأسف الشَّديد فإنَّ القرن كله قد مضى، ولم يستطع العالم الإسلامي أن يتجاوز عقبةً واحدةً من العقبات التي تعرقل أيَّ خطوةٍ نحو التَّطور والتَّقدم، وما التَّقدم الذي يحصل في العالم الإسلامي إلا ضربٌ من ضرورات الحياة التي تفرضها علينا المعطيات الحضارية المرافقة في الأمم الأُخْرَىٰ. وأكبر دليلٍ علىٰ ذٰلكَ أنَّ الفرق الحضاريَّ بَيْنَ العالم الإسلامي والأمم والأُخْرَىٰ كان في مطلع القرن العشرين سنوات لا تزيد عن العشرين، أمَّا الآن، وخاصَّةً مع ثورة المعلومات والاتصالات، فقد اتسع الفارق ليصل إلىٰ مئات السنين، ويتضاعف هٰذا الفرق خلال السَّاعات لا الأيام ولا الأشهر. وإذا كان للعالم الإسلامي بعض كلمة فيما مضى فإنَّ استهانة الغرب بالعالم الإسلامي؛ حكومات وشعوباً

(٦٩). حميد حلمي زادة: **الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة**. دار البلاغ للصحافة والطباعة والنشر. ٢٠٠٤م.

قد وصلت إلىٰ حدود لا تطاق... وما أكثر من الاستهانة بالمقدسات الدينيَّة، دون أن يستطيع العالم الإسلامي أن يحرِّك ساكناً، أو يدافع عن مقدساته؟؟

إنَّ التَّعالي فوق الجراح أمرٌ يستحبُّ ولٰكن شريطة أن يكون تعالي القوة والأنفة والعزَّة، لا تعالي الانكسار والضعف والهوان والتناسي... والزَّعم أنَّ العالم الإسلامي بخير هو ضرب من تغطية الشَّمس بالغربال، والظَّن أنَّ غضَّ النَّظر عن الجرح يكفي لعلاجه.

إنَّ أول ما هو مطلوب من العالم الإسلاميِّ أن يقف علىٰ جراحه، ويحسن تشخيصها كي يحسن علاجها. ولا ينفصل ذٰلكَ أبداً عن فهم الهويَّة، لأنَّ فهم الهويَّة هو المدخل الصَّحيح من أجل فهم الجراح التي تعاني منها الأمَّة، ومن أجل فهم الآخر.

والحقيقة أنَّ الإصرار علىٰ فهم الهويَّة له ما يسوِّغه تماماً من أجل وضع الذات في الموقع الذي تستحقُّه بَيْنَ الذَّوات الأُخْرَىٰ، أي فهم معنى الأمَّة الإسلاميَّة؛ هويتها، ورسالتها، كي يكون السَّعي إلىٰ وضعها في مكانها الذي تستحقُّه بَيْنَ الأمم سعياً واضح الأهداف والغايات.

إنَّ النَّاظر الموضوعيَّ إلىٰ الإسلام أيًّا كان ولاؤه ودينه وانتماؤه لا يستطيع إلا أن يعترف للدين الإسلامي بنبله وصحته وتكامله، ولذٰلك ما أكثر الذين أسلموا من دون أيِّ داعٍ مسلمٍ يشرح لهم كلمةً واحدةً عن الإسلام، لمحض أنَّهُم قرأوا الإسلام وقارنوه مع غيره من العقائد والأديان... يتمتع الإسلام بذاته بقوَّةٍ ساحرةٍ آسرةٍ تفرض احترامها علىٰ كلِّ من يطلع عليه، اللهم إلا من أعمى الله قلبه، وحجب الهدىٰ عنه، وهو بالضَّرورة لن يكون موضوعيًّا في قراءته الإسلام.

الإسلام ليس بحاجة أبداً إلىٰ من يدافع عنه، أو يحميه، فالله عزَّ وجل تكفل بحفظه وحمايته، وقال في محكم تنزيله: {**إِنَّا أَنْزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ**}. وأعني بذلكَ أنَّ المطلوب من المسلم أي مسلم، ومن ثَمَّ العالم الإسلامي، هو أن يفهم الإسلام. وأكاد أجزم أنَّ محض فهم الإسلام فهماً صحيحاً أو أقرب ما يكون إلىٰ الصِّحة هو الكفيل بخروج العالم الإسلامي من تخلفه وضعفه وجهله... فالإسلام يريدنا أن نكون أقوياء ويبين لنا كيف نصل إلىٰ ذلكَ؛ بالصدق، بالإخلاص، بالتعاون، بالتكافل، بالتحابب، بعدم مصادقة أعداء الإسلام، بالشُّورى... وكلُّ ذلكَ واضحٌ من غير لبس في القرآن الكريم والحديث النَّبوي الشَّريف. ولٰكن شريطة أن يفهم ذلكَ فهماً موضوعيًّا صحيحاً. وهٰذا ما هو مطلوب من مفكري العالم الإسلامي.

إنَّ واجب المفكرين هو توضيح الإسلام، ولا أقول الوجه الإيجابي للإسلام، لأنَّ الإسلام كلُّه وجهٌ إيجابيٌّ واحدٌ، وإنَّما المشكلة هي في فهمنا الخاطئ للإسلام، ويجب أن نصحِّح هٰذا الفهم الخاطئ. والأمور التي تستدعي التَّوضيح والتَّصحيح كثيرة جدًّا، ولٰكن رُبَّما تكون علاقة الحاكم بالمحكوم من أهم هٰذه الأمور. ولٰكنَّ الذي لا يمكن تجاهله أو غضُّ النَّظر عنه هو التقارب الإسلامي الإسلامي، وتعزيز الثِّقة بَيْنَ بلدان العالم الإسلامي علىٰ مختلف الأصعدة والمستويات، ولا سيما العلاقة المذهبيَّة: يجب أن يكون تنوع المذاهب الإسلاميَّة تعبيراً صريحاً واضحاً عن قوله عليه أفضل الصلاة والسلام: {**اختلاف أمتي رحمة**}. ولا شيء غير ذلكَ، لأنَّ تكريس الخلاف بَيْنَ المذاهب علىٰ أنَّه نوع من الصِّراع علىٰ الخطأ والصواب سيعزز الشُّروخ والخلاف بَيْنَ فرق العالم الإسلامي، وهٰذا مما سيبدد الطاقات، والقوى، والقدرات، والإمكانات

الإسلاميَّة علىٰ خلافات تزيد التَّخلف، وتزيد الضَّعف، ولن تسهم أبداً في أي تقدُّم خطوةً واحدةً إلىٰ الأمام.

هنا انتهت المداخلة التي قدمتها مكتوبة بعد أيَّام من الندوة، وهي المنشورة في الكتاب. وأبيِّن لماذا أقول إني كتبتها بعد الندوة وليس قبلها.

الحقيقة أنِّي اعتذرت غير مرَّة لمشاغل عن المشاركة في الندوة وذهب إليها بعد إلحاحٍ شديد، وآثرت أن أكون آخر المتكلمين، وما تكلمته كان ارتجالاً. حديثي في النَّدوة دار حول هٰذه النِّقاط التي كتبتها لاحقاً، ولٰكنَّ الشَّواهد كانت مختلفة. بدأت بأنَّ المسلمين السُّنَّة لا يكنُّون أيَّ حقدٍ تجاه الشِّيعة، وقدَّمت الكثير من الأدلة علىٰ ذٰلكَ. وقلت إذا لم يفعل الجميع مثل السُّنَّة بنسف الحواجز والخلافات فإنَّ مستقبل الأمة أسود وأليم.

وقد وصلنا إلىٰ ما أبديت منه مخاوفي قبل نحو خمسة عشر سنة. كنا في مشكلات المواجهة مع الغرب، صارت مواجهتنا داخليَّة تخوميَّة وما ينجلي عنها من فتن داخلية داخليَّة. كنا بمصيبة صرنا بمصائب أشد وأعقد. باتت الأمور بحاجة إلىٰ حسم مهما كان مؤلماً، وإلا فإن القادم سيكون الأسوأ دائماً.

صَدَرَ لِلمُؤَلِف

- أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.

- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.

- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين .. دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- العرب أعداء أنفسهم؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.

- العرب جثة تنهشها الكلاب؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) — دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون — دار طلاس — دمشق — ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأًصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) — دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.

- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.

- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.

فهرس

- **الإهداء**..... ٠٠٥
- **مقدمة الكتاب**..... ٠٠٧
- **الفصل الأول**: نقاط على الحروف ٠١٣
- **الفصل الثاني**: هستريا الأنظمة من عودة الخلافة..... ٠٢٣
- **الفصل الثالث**: نجاح العدالة والتنمية في السلطة ٠٣٧
- **الفصل الرابع**: ردود الفعل على فوز العدالة والتنمية ٠٤٧
- **الفصل الخامس**: تصاعد فوبيا الخلافة ٠٥٩
- **الفصل السادس**: الانقلاب على الإخوان في مصر..... ٠٦٩
- **الفصل السابع**: محاولة إسقاط العدالة والتنمية..... ٠٨١
- **الفصل الثامن**: الحرب على الإسلام ليست جديدة ٠٩٥
- **الفصل التاسع**: حكام الإسلام أعداء الإسلام..... ١١١
- **الفصل العاشر**: هل انتهت المشكلة هنا؟..... ١٢٥
- **خاتمة**..... ١٣٥
- **صدر للمُؤَلف**..... ١٤١
- **المحتويات**..... ١٤٧

WHAT HAPPENS WHEN ISLAM SUCCEED IN AUTHORITY

Inspired by Turkish and Egyptian experiences

BY PROF.DR. EZZAT ASSAYED AHMAD

Published By DAR ANHAR
Beirut. 2014
Emil: sameah3@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة
دار أنهار للنشر
ALL RIGHTS RESERVED

خطر نجاح الإسلام في السلطة

WHAT HAPPENS WHEN ISLAM SUCCEED IN AUTHORITY

Inspired by Turkish and Egyptian experiences

BY PROF. DR.
EZZAT ASSAYED AHMAD

2014

150

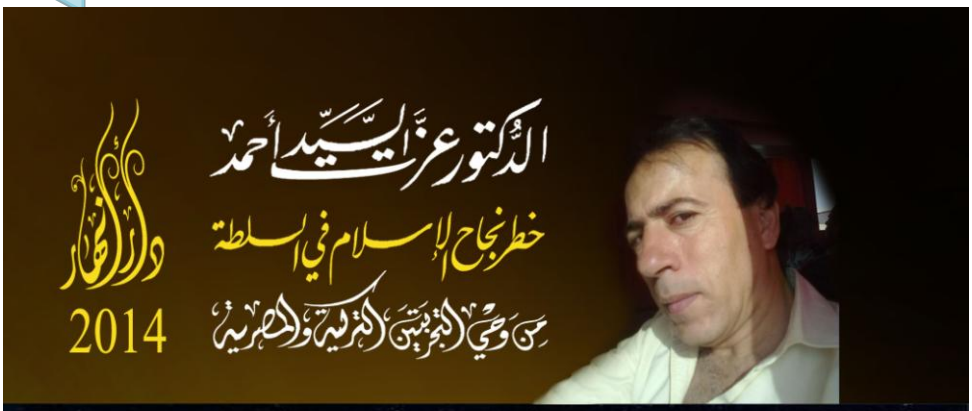
الدكتور عزت السيد أحمد
خطر نجاح الإسلام في السلطة
من وعي التجربتين التركية والمصرية
دار الأنصار
2014

من هذا الكتاب
هل يعقل أن نعود إلى نقطة الصفر؟
بعد ألفين وخمسمئة سنة
من تجاوزها؟
إنَّهَا مأساة كبيرة
إنها مأساة المآسي أن نكرر البداهات
إن عدم التأسيس للصحيح للحوار، للنقاش، لحل أي مشكلة
لن يكون ذا جدوى أبداً طالما أننا نتخبط في فوضى المفاهيم والاصطلاحات
والنوايا القائمة على هذه الضبابية والفوضوية. وتسوي هنا المتناقضات
وتخرج الحوارات بأوهام النتائج ولا نتائج أبداً... أوهام على أوهام.